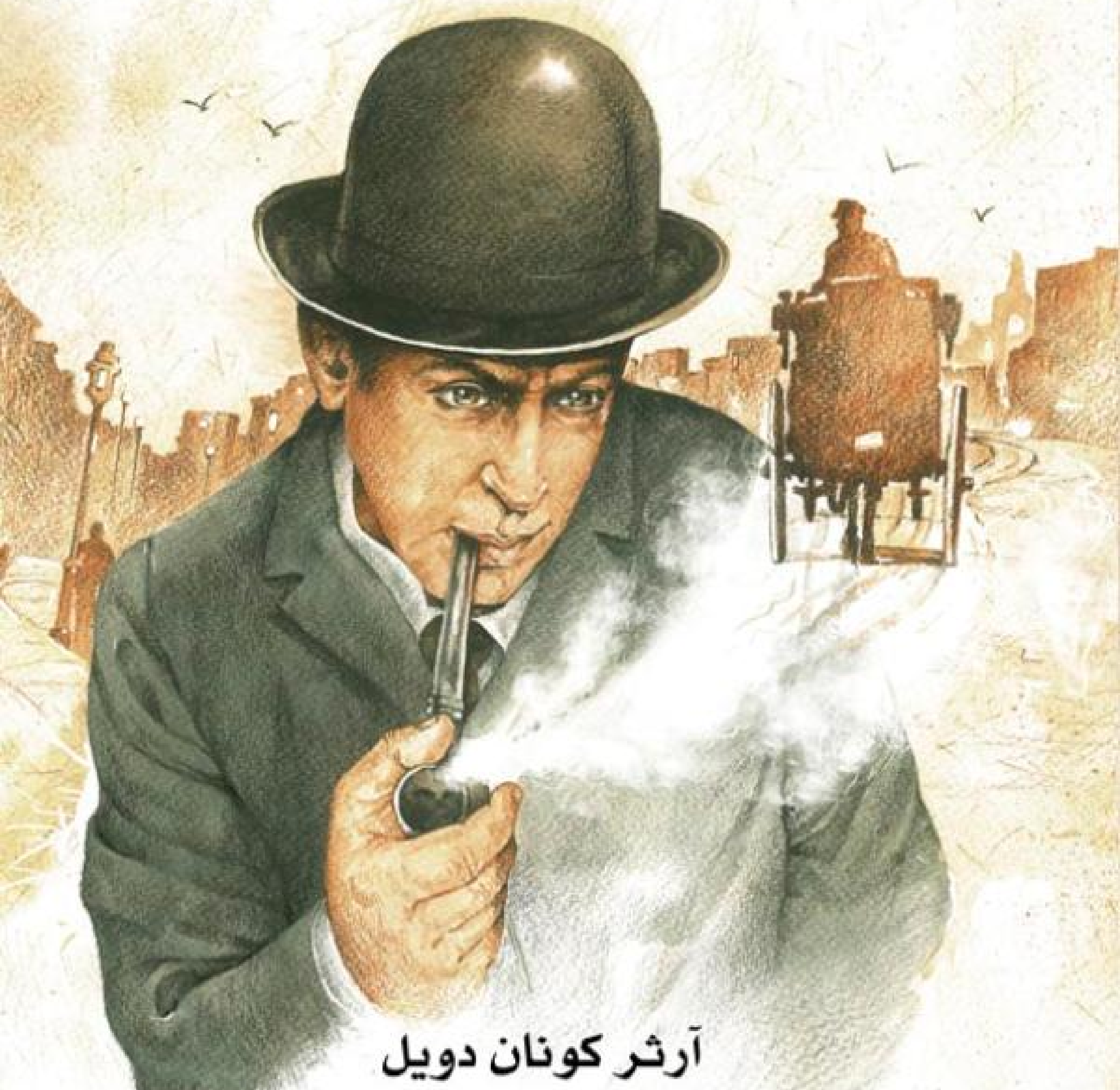
مغامرات

شيرلوك هولمز



آرثر كونان دويل

الغلاف الأمامي



الغلاف الأمامي



حقوق الطبع والنشر

مغامرات

شيرلوك هولمز

آرثر كونان دويل

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...ليست مجرد مكتبة
...not just a Bookstore

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونُخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى ٢٠١٨

ADVENTURES OF
SHERLOCK HOLMES

Arthur Conan Doyle

JARIR BOOKSTORE

١. الجوهرة الزرقاء



حينما زرت صديقي شيرلوك هولمز صبيحة يوم العيد وجدته يستلقي باسترخاء على الأريكة, وإلى جانبه بعض الصحف المطوية، وكانت هناك قبَّعة قديمة وبالية مُعلقة على الكرسي الخشبي المجاور للأريكة، وعدسة مكبرة على مقعد الكرسي، فسألته قائلًا: "هل لتلك القبعة علاقة باللغز الذي

تتحرى عنه؟"؛ فأجابني: "لا، ليس لغزًا"، ثم سألني: "هل تعرف المأمور بيترسون؟".

فأجبته: "نعم أعرفه!".

حينها قال: "إن بيترسون هو من وجدها، ولكن صاحبها غير معروف؛ فبينما كان يتمشى في طريق توتنهام كورت في الساعة الرابعة تقريبًا صبيحة يوم العيد، رأى أمامه رجلًا طويل القامة



كان يحمل فوق كتفه إوزة بيضاء اللون، ويترنح قليلًا في أثناء مشيته، وعندما وصل إلى ناصية شارع جودج، اندلع شجار بينه وبين مجموعة من الشباب، فأسقط أحدهم قبعته على الأرض، وعندما هم الرجل بضرب من هاجموه بعصا كانت في يده, كسر نافذة أحد المحلات من خلفه عن غير قصد، فتقدم بيترسون إلى ذلك الرجل مسرعًا لحمايته، وعندما رأى الرجل مأمور الشرطة وهو يقترب منه، أصابه الهلع فرمى إوزته وهرب هو ومن كان يتعارك معهم، ولم يتبقَّ في الشارع سوى بيترسون وإوزة الرجل وقبعته".

وبعدما انتهى, سألته وأنا أحاول أن أكتم ضحكاتي: "هل أعادهما إلى صاحبهما؟".

فرد هولمز قائلًا: "هنا تكمن المشكلة يا عزيزي واطسون؛ فقد وجدنا بطاقة مربوطة بالساق اليسرى للإوزة، مكتوبًا عليها 'هدية لحرم السيد هنري بيكر'، وقد كان الحرفان 'هـ. ب' مكتوبين على القبعة أيضًا، ولكن كان هناك الآلاف ممن يحملون الاسم نفسه في المدينة، لدرجة أنه كان من المستحيل العثور على صاحبه؛ لذا أحضرهما بيترسون إليَّ؛ لأنه يعلم أن مثل هذه القضايا الصغيرة تثير اهتمامي، وحينها اقترحت عليه أن يتناول تلك الإوزة في العيد، واحتفظت أنا بالقبعة منذ ذلك الحين".

وبعدئذٍ سألته، قائلًا: "ألم ينشر إعلانًا؟".

فأجابني: "كلا، لم يفعل!".

فسألته مندهشًا: "إذن, فكيف ستعرف هوية صاحبها يا هولمز؟".

فأجابني قائلًا: "من خلال قبعته!".

وعلى الفور التقطت تلك القبعة البالية، وأخذت أتفحصها، كانت قبعة سوداء عادية، ودائرية الشكل، وقد تصلبت، وباتت قديمة وبالية، لكن بطانتها كانت من الحرير الأحمر الذي بهت لونه كثيرًا، ولم يكن مكتوبًا عليها اسم صانعها، وهكذا كان شريطها المطاطي، وبدا الحرفان "هـ. ب"

ظاهرين على جانب واحد منها، كما كانت مهلهلة ومُتربة، وقد لطختها البقع في العديد من الأماكن فيها.

وبعدها سألته قائلًا: "هل بإمكانك أن تخبرني بما تستنتجه من تلك القبعة؟".

فأجاب هولمز قائلًا: "أستنتج منها أمرين، أستنتج منها أن هذا الرجل كان على قدر كبير من العلم والثقافة، ولكنه مر في السنوات الثلاث الماضية بأوقات عصيبة، وقد انضم إلى جماعة من أصدقاء السوء ممن قادوه إلى بعض الأفعال السيئة التي بدد فيها كل ماله، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل زوجته تتوقف عن حبها إياه، كما أنه شخص انطوائي في منتصف العمر، وله شعر أشيب قام بقصه قبل عدة أيام، كما أنه يدهنه بزيت الليمون".

فبعد أن سمعت ذلك, قلت له متعجبًا: "لا بد أنك تمزح يا هولمز!".

فرد عليّ قائلًا: "لا، لا أمزح على الإطلاق".

فسألته متحديًا: "إذن, فكيف استنتجت أن الرجل كان على قدر كبير من الثقافة والعلم؟".

فوضع هولمز القبعة على رأسه فغطت جبهته, وحينئذٍ قال: "حسنًا، رجل برأس كهذا لا بد أن يكون ذكيًا".

فبادرته قائلًا: "إذن, فكيف تفسر معرفتك أنه قد بدد ماله؟".

فأجاب قائلًا: "عزيزي واطسون، القبعة عمرها ثلاث سنوات، ولكنها من أجود القبعات، انظر إلى شريط الحرير الملفوف حول القبعة! وستجد أن تلك الحواف المستوية كانت شهيرة ومنتشرة في ذلك الوقت، ومن المقبول أنه إن كان ذلك الرجل يقدر على شراء مثل تلك القبعة الفخمة منذ ثلاث سنوات، وليس لديه قبعة أخرى، فإنه الآن يمر بظروف مالية عصيبة".

فصرخت هاتفًا: ‘‘إنك موهوب حقًا!’’.

فواصل هولمز حديثه قائلًا: ‘‘كما أنني اكتشفت عدة شعيرات مقصوصة، ولا بد من أن يكون الحلاق قد قص شعره بالمقص,



كما أن الرائحة المميزة لزيت الليمون واضحة وجلية، ولكن التراب البني المتراكم على القبعة يشبه التراب الموجود في المنازل؛ لذلك استنتجت أنه كان يعلق قبعته داخل منزله معظم الوقت’’.

فقال له واطسون: "وماذا عن زوجته؟، لقد قلت إنها..."،

واصل هولمز قائلًا: "هذه القبعة لم تُنظف منذ أسابيع".

فأجبته مستنتجًا: "قد يكون عازبًا يا هولمز!".

فأجاب هولمز قائلًا: "لا ليس عازبًا؛ فقد اشترى الإوزة، وكان في طريقه إلى المنزل لتقديمها لزوجته، فهل تتذكر البطاقة التي كانت تلتصق بساقها؟".

وحينها قلت له متعجبًا: "لديك جواب لكل شيء يا هولمز!".

وبينما كان ينهي الجملة التي يقولها، إذ بالباب يُفتح ليدخل المأمور بيترسون إلى الغرفة مندفعًا، وقد اعتلت الدهشة وجهه.

قال لاهثًا: "سيد هولمز، الإوزة!".

فسألته: "ماذا عنها؟".

فقال بيترسون متعجبًا وهو يُظهر حجرًا لامعًا أزرق اللون: "انظر ما وجدته زوجتي في بطنها".

فدهش هولمز مصدرًا صفيرًا: "يا إلهي! لقد اكتشفت كنزًا يا بيترسون! فهل تعرف ما الذي وجدته؟".



فرد عليه متحمسًا: "إنه حجر نفيس يا سيد هولمز!".

أجابه هولمز قائلًا: "إنه ليس حجرًا نفيسًا عاديًّا، بل هو الحجر النفيس الأصلي الذي نبحث عنه!".

فقلت له صائحًا: "لا تقل لي إنها الجوهرة الزرقاء التي فقدتها الكونتيسة موركار! تلك الجوهرة التي فقدتها الكونتيسة في فندق كوزموبوليتان، أليس كذلك؟!".

فرد عليّ هولمز قائلًا: "بلى، هي الجوهرة عينها التي فقدتها الكونتيسة منذ خمسة أيام في الثاني والعشرين من شهر ديسمبر بالتحديد، وقد اتُّهم بسرقتها سباك يدعى جون هورنر".

ثم أخذ هولمز يقلب في جرائده, حتى أخرج واحدة منها، وأخذ يقرأ منها ما يلي:

"سرقة مجوهرات بفندق كوزموبوليتان،

تم القبض على جون هورنر السباك -الذي يبلغ ستة وعشرين عامًا- بتهمة سرقة جوهرة ثمينة تُعرف باسم الجوهرة الزرقاء من صندوق المجوهرات الخاص بالكونتيسة موركار، وقد أدلى جيمس رايدر -الذي يعمل خادمًا بالفندق- بشهادته، ومضمونها أنه رأى هورنر يقوم ببعض أعمال السباكة في غرفة الكونتيسة في ذلك اليوم الذي سُرقت فيه الجوهرة، وقد انتظر مع هورنر بعض الوقت، ولكن مدير الفندق قد استدعاه، وعند عودته إلى غرفة الكونتيسة لم يجد هورنر، ووجد أن الدولاب قد فُتح عنوة، وأن صندوق المجوهرات الصغير فارغ!".

فقرع رايدر على الفور جرس الإنذار، وتم القبض على هورنر في ليلة السرقة نفسها، ولكن الحجر لم يكن بحوزته، ولا في غرفته كذلك. وقد أكدت كاثرين كوزاك خادمة الكونتيسة في الوقت ذاته شهادة رايدر، ولكن هورنر أنكر سرقته تلك الجوهرة النفيسة، واحتج بشدة مؤكدًا براءته.

وحينها فكر هولمز بتمعن، ثم قال: "علينا أن نكتشف كيف وصل هذا الحجر إلى بطن الإوزة، ولا بد من أن نجد السيد هنري بيكر أولًا؛ لأنه صاحب تلك الإوزة؛ فذلك الرجل صاحب القبعة البالية لديه كل الإجابات. وحتى أبدأ البحث عنه لا بد من أن أنشر إعلانًا في صحف المساء! وإليك ما أنوي كتابته: تم العثور على إوزة وقبعة من اللباد في شارع جودج، وعلى السيد هنري بيكر التكرم بالحضور بصفة شخصية إلى العنوان التالي، حتى يحصل على متعلقاته: ٢٢١ ب، شارع بيكر في تمام الساعة ٦:٣٠ مساء اليوم".

فسألته على الفور: "أتعتقد أنه سيرى ذلك الإعلان؟".

فرد عليّ هولمز قائلًا: "نعم, متأكد أنه سيراه؛ لقد أفزعه مشهد بيترسون وهو يجري تجاهه، حتى رمى الطائر وهرب، ولكنني متأكد أنه نادم على فعل ذلك الآن".

وقد طلب هولمز من بيترسون أن يقوم بنشر الإعلان على الفور في صحف المساء، كما قال له إنه سيحتفظ بالحجر, وعليه أن يشتري إوزة أخرى بدلًا من الأولى، ويأتي بها إليه.

وبعد أن انصرف بيترسون، قام هولمز برفع الحجر أمام الضوء، وحدث نفسه قائلًا: "هذا الحجر لم يكمل عامه العشرين حتى الآن، وقد تم العثور عليه على ضفاف نهر أموي في جنوب الصين، وقد وقعت العديد من حوادث السرقات والجرائم بسببه".

وبعدها قرر هولمز أن يحتفظ بالحجر في صندوق داخل خزانته، ويخبر الكونتيسة بأنه وجد ذلك الحجر. وسألته هل السيد هنري بيكر مذنب أم لا، ولكن هولمز قال لي إنه يعتقد أن السيد هنري بيكر بريء، ولم يكن يعلم على الإطلاق بأمر الحجر.

وقال لي: "لكن علينا أن نعلم هل سيصل ذلك الرجل؟ ومتى سيصل؟".
وقد وصل الرجل في تمام الساعة السادسة والنصف، وقام هولمز ليحيي ضيفه، وأجلسه على مقربة من المدفأة، وسأله: "هل هذه قبعتك يا سيد بيكر؟".



فأجاب: ‘‘أجل يا سيدي’’.

وكان هنري بيكر رجلًا ضخمًا، كبير الرأس، عريض المنكبين، ذا وجه عريض تنم ملامحه عن الذكاء الحاد، كان يتحدث ببطء، ويختار كلماته بعناية؛ ما دل على أنه رجل مثقف، قال له هولمز: ‘‘لقد احتفظنا بتلك الأشياء عدة أيام ظنًّا منا أنك ستنشر إعلانًا تذكر فيه عنوانك’’.

فقال له الضيف بضحكة يملؤها الخجل: ‘‘لم أعد غنيًّا كما كنت من قبل، وقد اعتقدت أن من هاجموني قد أخذوا كلًّا من الطائر والقبعة’’.

فرد عليه هولمز قائلًا: ‘‘لقد أكلنا طائرك بالمناسبة!’’.

فهمَّ هنري بيكر بالقيام من فوق كرسيه في دهشة، قائلًا: "أكلتموه؟!".

لكنه شعر بالارتياح، وجلس على مقعده عندما أوضح له هولمز أنهم أحضروا له إوزة أخرى تشبه إوزته التي أكلوها تمامًا، وقد رمقني هولمز بنظرة حادة، وطلب من السيد هنري بيكر أن يأخذ قبعته وإوزته، وبينما كان هنري يلتقط أشياءه، سأله هولمز عن المكان الذي أحضر منه تلك الإوزة.



وحينها رد عليه بيكر قائلًا: "إنني واحد ممن يترددون على فندق ألفا الذي يقع بجوار المتحف في أثناء عملنا فيه خلال النهار، وقام مضيفنا الكريم السيد ويندجيت هذا العام بتأسيس نادٍ لتوزيع الإوز؛ حيث ندفع بضعة بنسات كل أسبوع لنحصل على إوزة في العيد، وبهذه الطريقة حصلت على الإوزة التي كانت معي".

ثم حيانا السيد بيكر بانحناءة كوميدية وانصرف، وانطلقنا بعدها حتى وصلنا إلى فندق ألفا بعد خمس عشرة دقيقة، وقد وجه هولمز حديثه إلى مالك الفندق مباشرة، قائلًا: "لقد سمعت عن الإوز الذي تقوم بتوزيعه".

فتساءل الرجل في دهشة: "الإوز الذي أقوم بتوزيعه؟".

فرد عليه هولمز: "لقد أخبرني السيد هنري بيكر وهو عضو بنادي الإوز لديك".

فرد عليه الرجل مرة أخرى قائلًا: "نعم تذكرت، ولكن ليس هذا الإوز **ملكي**، فقد اشتريت دستتين من هذا الإوز من بائع يبيعه في سوق كوفنت جاردن".

فسأله هولمز: "ما اسمه؟".

أجابه الرجل: "بريكنريدج".

فقال هولمز: "شكرًا لك، وطاب مساؤك".



ووجدنا محلًا يحمل اسم بريكنريدج بعد أن قمنا بجولة في سوق كوفنت جاردن، وكان محلًا كبيرًا يحمل اسم مالكه، وهو رجل نحيف ذو شارب كبير، ووجه صارم.

وقد حيًا هولمز ذلك الرجل، قائلًا: "مساء الخير، لقد نصحني مالك فندق ألفا بأن آتي إليك".

فرد عليه الرجل قائلًا: "نعم، لقد أرسلت إليه دستتين من الإوز".

فقال له هولمز: ‘‘إنه إوز جيد بالفعل، ولكن من أين حصلت عليه؟’’.

وفجأة، أثار هذا السؤال غضب البائع وسأله متعجبًا: ‘‘ما الغرض من هذا السؤال أيها السيد؟’’.

فأجابه هولمز: ‘‘أريد أن أعرف من باع لك هذا الإوز الذي أرسلته إلى فندق ألفا؟’’.

ولكن الرجل أبدى اعتراضه قائلًا: ‘‘ليس عليَّ أن أخبرك، كما أنني لا أدري لمَاذا يسأل الناس تلك الأسئلة عن الإوز الخاص بي بدلًا من أن يقوموا بشرائه’’.

ولكن هولمز رد قائلًا: ‘‘ليست لي أدنى علاقة بمن يفعلون ذلك، كنت فقط أود أن أسألك إذا كنتُ على حق في اعتقادي بأن هذا الطائر قد ربِّي في الريف’’.

فرد الرجل على هولمز غاضبًا، وقال له: ‘‘إنك مخطئ، فإنه من إنتاج المدينة’’.



ولكن هولمز رد عليه قائلًا: ‘‘لا أصدق ذلك’’.

وحينئذٍ ضحك الرجل بسخرية، وطلب من فتى صغير إحضار الدفاتر، وقد أحضر ذلك الفتى دفترًا دقيقًا، وأرانا البائع القائمة، وقال: ‘‘إليك قائمة من أشتري منهم، فتلك الصفحة تحتوي على الباعة من الريف، بينما أُدون في

تلك الصفحة المكتوبة بالحبر الأحمر الباعة من المدينة، ألقِ نظرةً على ذلك الاسم الثالث".

فقرأه هولمز بصوتٍ عالٍ: "السيدة أوكشوت، ١١٧ شارع بريكستون ٢٤٩".

وحينها سأله الرجل قائلًا: "ما آخر يوم في الدفتر؟".

فقرأه هولمز قائلًا: "يوم ٢٢ من ديسمبر، لقد بيعت أربع وعشرون إوزة إلى السيد ويندجيت صاحب فندق ألفا بمبلغ ١٢ بنسًا".

وعندئذٍ قال له البائع بنبرة ساخرة: "ماذا تقول في ذلك الآن؟"، ولكن هولمز أعطاه جنيهًا فضيًّا وانصرف.

حدثني هولمز قائلًا: "علينا أن نقوم بزيارة إلى منزل السيدة أوكشوت"، ولكننا فجأة سمعنا صوتًا من خلفنا، واستدرنا لنرى أن بريكنريدج يتعارك مع أحد الغرباء الذي وصل من فوره إلى محله.

صاح البائع في الرجل الضئيل قائلًا: "لقد سئمت منك ومن إوزك، أحضر لي السيدة أوكشوت هنا، وسأجيب عن سؤالك، فأنا لم أشتر منك الإوز، أليس كذلك؟".



ولكن الرجل الضئيل احتج قائلًا: ''إن إحدى الإوزات كانت لي''، ولكن البائع أجبره على مغادرة المكان، وفي هذه اللحظة انتظر هولمز بعض الوقت، ثم ذهب إلى ذلك الرجل الضئيل واصطحبه.

ولكن الرجل الضئيل سأل هولمز بصوتٍ خائفٍ: ''من أنت؟ وماذا تريد؟''.

فأجابه هولمز قائلًا: ''اعذرني يا سيدي، ولكنني سمعت ما دار بينك وبين البائع من محادثة، وأعتقد أن بإمكاني مساعدتك''.

فقال له الرجل الضئيل: ‘‘من أنت؟’’.

فقال هولمز: ‘‘يدعونني شيرلوك هولمز!’’.

ولكن الرجل الضئيل صاح قائلًا: ‘‘آه يا سيدي، إنك الشخص الوحيد القادر على مساعدتي’’.

وحينها قال له هولمز وهو يوقف سيارة أجرة: ‘‘قد يكون من الأفضل أن نناقش هذه المسألة في منزلي، ما اسمك؟’’.

تردد الرجل لحظة، ثم أجابه قائلًا: ‘‘جون روبنسون’’.

فقال له هولمز بلطف: ‘‘أريد اسمك الحقيقي’’، فأجابه الرجل بخجل:



"اسمي الحقيقي هو جيمس رايدر"؛ فقال له هولمز على الفور: "نعم، أنت رئيس الخدم في فندق الكوزموبوليتان"، ثم صعدنا إلى السيارة بعد ذلك، ووصلنا إلى شارع بيكر بعد مضي نصف ساعة، ثم توجه إليه هولمز بالحديث، قائلًا: "تفضل بالجلوس يا سيد رايدر، أنت تريد الآن أن تعرف ماذا حدث للإوزة".

رد عليه قائلًا: "أجل يا سيدي، هلا أخبرتني أين ذهبت؟".

أجابه هولمز قائلًا: "لقد كانت هنا يا سيد رايدر".

فرد متسائلًا: “هنا؟”.

استطرد هولمز قائلًا: “نعم هنا، وقد عثرنا على بيضة بعد موتها، وكانت بيضة زرقاء لامعة، وهي معي الآن”.

حينئذٍ نهض جيمس رايدر من مقعده على الفور ممسكًا بيد الكرسي حتى لا يقع، وفتح هولمز دولابه وأخرج الجوهرة الزرقاء، ورفعها إلى الأعلى فتلألأت، فأخذ رايدر يحدق إليها بطريقة هستيرية ولا يعرف ماذا يفعل، وحينها انطلق هولمز قائلًا: “انتهت اللعبة يا رايدر، فكيف عرفت بشأن تلك الجوهرة؟”.

فأجاب رايدر ببطء، قائلًا: “أخبرتني بشأنها كاثرين كوزاك”، فرد عليه هولمز بهدوء قائلًا “نعم, خادمة الكونتيسة، وكنت أنت وهي تعلمان أن هورنر السباك شخص ساذج؛ لذا أخبرته أنت وكوزاك بأن عليه أن يقوم بإصلاح شيء ما في غرفتها، وبعد أن غادر قمتما بفتح صندوق المجوهرات، ثم قرعت جرس الإنذار حتى يتم القبض على السباك المسكين، إذن فأنتما...”.



وعندها ارتمى رايدر عند قدمي هولمز وأخذ يتوسل إليه، قائلًا: "أرجوك أن تتركني يا سيدي! وأقسم لك أنني لن أفعل هذا الشيء مرة أخرى! أرجوك لا تأخذني إلى المحكمة!".

فأمره هولمز: "انهض واجلس على مقعدك، وماذا عن السباك البريء؟".

وعندها تكلم رايدر بصوتٍ خافتٍ، قائلًا: "سأغادر البلاد في الحال، وأعترف بجريمتي، ومن ثم تسقط الجريمة عنه!".

فأجابه هولمز قائلًا: "سنناقش هذا الأمر لاحقًا، والآن أخبرنا كيف وصلت الجوهرة إلى بطن الإوزة، وكيف وصلت الإوزة إلى السوق؟ أخبرنا بالحقيقة".

استطرد رايدر قائلًا: "اعتقدت أن بإمكاني أن أخبئ الجوهرة قبل أن يعرف رجال الشرطة بأمري، وكنت أعرف أنه لا يوجد مكان آمن في الفندق؛ لذا زرت أختي في بيتها في المساء، وقد تزوجت من رجل يُدعى أوكشوت، وكانت تعيش في بيتها بشارع بريكستون، ولم أئتمن أختي على هذا السر، فأخذت أتمشى في الفناء الخلفي لبيتها متسائلًا ما الذي عليَّ فعله بعد ذلك، فلمحت فجأة بعض الإوز في ذلك الفناء وجالت في خاطري فكرة".

واسترسل قائلًا: "واخترت إوزة بيضاء سمينة جيدة كان لديها بعض الريش الأسود، ففتحت منقارها ودفعت بالجوهرة في بلعومها إلى آخر حد يستطيع إصبعي أن يصل إليه، فابتلعت الإوزة الجوهرة وشعرت بها تستقر في بطنها، ولكن أختي فاجأتني بقدومها، والتفت لأقابلها, فهربت الإوزة وضاعت بين غيرها من الإوز، وعندها طلبت من أختي أن تعطيني إوزة لها بعض الريش الأسود كهدية للعيد، فوافقت وأخذت الإوزة وذهبت إلى صديقي مودسلي؛ فهو بارع في تدبير مثل هذه الأمور، وذهبت لأطلب منه النصح فيما يتعلق ببيع تلك الجوهرة، ولكن عندما فتحنا أنا ومودسلي بطن الإوزة لم نجد الجوهرة الزرقاء داخلها".

"فذهبنا مسرعين إلى بيت أختي، ولكنها كانت قد باعت كل الإوز إلى بريكنريدج، وعندها عرفت أن هناك إوزة أخرى لها بعض الريش الأسود، فانطلقت مسرعًا إلى بريكنريدج، ولكنه قد باع الإوز أيضًا، ورفض أن يخبرني لمن باعه"، وأجهش بالبكاء قائلًا: "إنني الآن لص موصوم بالعار، على الرغم من أنني لم أحصل على فلس واحد، فأرجوك ساعدني! أقسم بالله أنني لن أسرق أبدًا مرة أخرى!".

ومن ثم ساد صمت طويل, حتى نهض هولمز وفتح الباب على مصراعيه وقال لرايدر: "اخرج!".

فقال رايدر في دهشة: "ماذا تقول؟".

فرد عليه هولمز: "لا داعي لأن تتفوه بأية كلمة أخرى، اخرج!".

وحينها خرج رايدر من الباب بأقصى سرعة ممكنة. ثم قال هولمز بينما كان يلتقط غليونه: "حسنًا، يا واطسون، إن الشرطة لم تكلفني بالبحث في ذلك الأمر على أية حال، وإن هورنر ليس في خطر ما دام رايدر سيعترف بجريمته، وتعود الجوهرة إلى صاحبتها، وأظن أن هذا الرجل لن يكرر خطأه مرة أخرى، فهو مرعوب للغاية، ومسامحته الآن ستجعله رجلًا أفضل في المستقبل!".

٢. إبهام المهندس



في صباح أحد الأيام من عام ١٨٨٩، استيقظت على صوت طرقات على باب عيادتي قبل الساعة السابعة، فاندفعت إلى الطابق السفلي بعدما ارتديت ثيابي بسرعة، فوجدت شابًّا يبدو في الخامسة والعشرين من عمره يرتدي بذلة من الصوف، وقبعة من القماش الناعم، وكان يجلس إلى الطاولة في غرفة الفحص الخاصة بي، رابطًا إحدى يديه بمنديل تغطيه بقع الدم.

فتناولت بطاقته التي كان مكتوبًا فيها: ‘‘السيد فيكتور هاثرلي، مهندس هيدروليكي، ١٦ أ، شارع فيكتوريا’’.

ثم سألته: ‘‘حسنًا، ما المشكلة؟’’، ففك المنديل عن يده، وبسطها أمامي، فسرت الرعشة في جسدي عندما رأيت منظر يده؛



فقد كانت أصابعه الأربع في حالة جيدة إلا إبهامه, فقد قُطعت، ولم يبقَ منها سوى سطح إسفنجي مروع أحمر اللون.

فصحت في دهشة قائلًا: "يا إلهي! هذه إصابة بالغة! لا بد من أنك قد نزفت كثيرًا".

فرد عليَّ زائري قائلًا: "لقد غبت عن الوعي بعد الإصابة، وعندما استعدت وعيي وجدتها لا تزال تنزف؛ لذا ربطتها بمنديلي ربطة مُحكمة".

وعندما فحصت الجرح استنتجت ما حدث، قائلًا: "يبدو أن السبب وراء ذلك أداة ثقيلة وحادة. أكان حادثًا عرضيًّا؟".

فرد عليَّ قائلًا: "لا, لم يكن كذلك!".

فسألته: "ماذا؟ أهي محاولة لقتلك؟".

فأجاب: "أجل!".

مسحت الجرح بإسفنجة، ونظفته، ثم ضمدته، وأخيرًا غطيته بقطعة من القطن, ثم لففت حول إصبعه مجموعة من الضمادات، وبينما كنت أفعل ذلك كان مستلقيًا إلى الوراء، يعض على شفتيه من شدة الألم، وقد طلبت منه أن يقص عليَّ ما حدث، فقال لي: "سأقص عليك ما حدث، فالشرطة لن تصدقني في ذلك؛ لأنني لا أمتلك الأدلة الكافية".

وألححت على زائري أن يزور صديقي شيرلوك هولمز قبل أن يذهب إلى الشرطة، وقد وافقني على الذهاب إليه، ثم ذهبنا إلى شارع بيكر، ووجدنا هولمز جالسًا على كرسيه يقرأ الصحف، وبدأ الشاب يقص علينا قصته الغريبة، قائلًا:

"إنني شخص يتيم، وغير متزوج، وأقطن وحيدًا في مسكني في لندن، وأعمل مهندسًا هيدروليكيًّا، وقد قررت منذ عامين أن أفتتح مكتبًا هندسيًّا خاصًّا بي، واخترت أن يكون مقره في شارع فيكتوريا، ولكنها لم تكن بداية موفقة، فخلال هذين العامين لم أقم إلا بمهمة عمل صغيرة، وقدمت ثلاث استشارات، فكان مجمل دخلي هو سبعةً وعشرين جنيهًا إسترلينيًّا فحسب، وكنت أنتظر العملاء بلا جدوى في مكتبي الصغير، لكن أتاني شخص ما

أمس في الوقت الذي كنت أغلق فيه مكتبي، كان يدعى الكولونيل ليساندر ستارك".

"ولم أقابل قط في حياتي رجلًا نحيفًا مثل هذا الرجل؛ فلم يكن يظهر من وجهه غير أنفه وذقنه، وكأنه لم يكن له خدان مطلقًا، ولكنه على الرغم من ذلك كان مهندمًا وبصحة جيدة، يبدو أنه كان أقرب إلى الأربعين، كان يتحدث معي بلكنة ألمانية، وأخبرني بأنه يعرف كل شيء عني، وبأنني ماهر في عملي".

"ثم قال بغموض: 'لا يبدو أنك ماهر في عملك فحسب، بل بإمكاني كذلك أن أئتمنك على سري', وبعدها أخذ يرمقني بنظره بشكل حاد".

"واستطرد قائلًا: 'هلا تعدني بألا تتفوه بكلمة، أو تكتب أي شيء عن هذا الموضوع؟'، فوافقته على ذلك، وتوسلت إليه أن يخبرني بما يريد؛ لأن وقتي ثمين، لكن الحقيقة أنني كنت خائفًا للغاية، وقد نفد صبري".

"فسألني قائلًا: 'هل يناسبك خمسون جنيهًا نظير عملك في الليلة الواحدة؟'".

"فأجبته قائلًا: 'نعم، يناسبني تمامًا'".

"فسألني: 'أريد أن أستشيرك بشأن مكبس هيدروليكي لا يعمل جيدًا، ويمكننا إصلاحه بأنفسنا إن أخبرتنا بسبب المشكلة، فما رأيك في هذه العمولة؟'".



‘‘فقلت له بصراحة: ‘يبدو العمل هينًا والأجر مرتفعًا’’’.

‘‘قال لي: ‘أجل، ولكننا نريدك أن تأتي في القطار الأخير الذي ينطلق من إيفورد في مقاطعة بيركشاير في الليلة ذاتها، إنها بلدة صغيرة بالقرب من حدود أوكسفوردشاير، وتبعد نحو اثني عشر كيلومترًا عن مدينة ريدنج، وعندما تستقل القطار من بادينجتون، فإنك ستصل إلى هناك في تمام الساعة الحادية عشرة وخمس عشرة دقيقة’’’.

استرسل المهندس في سرد قصته قائلًا: ‘‘فوافقت على ذلك، وقال الرجل إنه سيقابلني كي يقلني بالعربة؛ لأن مكانه كان يبعد اثني عشر كيلومترًا من محطة إيفورد، وقد أدركت أن عليَّ أن أقضي الليلة هناك، ولكنني طلبت منه أن أرجع في الليلة نفسها إن كان بإمكاني هذا، ولكنه رفض طلبي، وقال لي إن عليَّ قضاء الليلة كلها هناك، وعندها وافقت طمعًا في الخمسين جنيهًا’’.

‘‘ولكنني سألته: ‘ما طبيعة العمل بالضبط؟’’’.

‘‘رد عليَّ قائلًا: ‘لا بد أنك تعرف أن تراب القصار - وهو نوع من الطين، يستخدم في إزالة الزيوت والشحوم من الملابس - غالي الثمن، ولا يوجد إلا في مكانين فحسب في إنجلترا’’’.

‘‘فأجبته قائلًا: ‘نعم, أعرف ذلك’’’.



“‘استطرد هذا الرجل الغريب قائلًا: ‘اشتريت مكانًا صغيرًا بالقرب من محطة ريدنج منذ فترة صغيرة، واكتشفت وجود تراب القصار في أحد حقولي، كما اكتشفت أن تلك البقعة كانت صغيرة، ولكنها كانت تمثل وصلة بين حقلين كبيرين يملكهما جيراني، وقررت حينها أن أشتري حقليهما، ولكن لم يكن معي مال يكفي لشراء هذين الحقلين، فاكتفيت بالعمل على البقعة التي كانت في حقلي، أستخرج ما فيها وأجني المال منها، حتى أصير قادرًا على شراء الحقول المجاورة، وقد استخدمنا المكبس الهيدروليكي، حتى يساعدنا على ذلك، ولكنه لا يعمل في الوقت الحالي، ونحتاج إليك، ولكن الأمر سري للغاية، وإذا أتى مهندس هيدروليكي إلى

حقلي، فسيعرف الجميع بأمر تراب القصار؛ لذا فقد طلبت منك أن تعدني بألا تخبر أحدًا، وأتمنى أن تكون قد فهمت ما أقصده’’.

‘‘فأجبته قائلًا: ‘نعم، أفهم ما تقصده، ولكن لماذا استخدمت المكبس الهيدروليكي؟ إن تراب القصار يمكن استخراجه بالحفر كما يحدث مع الرمال العادية’’.

‘‘فرد عليَّ قائلًا: ‘لدينا طرقنا وعملياتنا الخاصة في استخراجه’، وقد انصرف بعدما قال تلك الجملة، وتوقع أن يراني في إيفورد في تمام الساعة الحادية عشرة والربع’’.



“فكرت مليًا في ذلك الأمر، وكنت مفعمًا بالسعادة؛ لأنني سأتقاضى الكثير من المال بما يعادل أكثر من عشرة أضعاف دخلي العادي، ولكن كانت تراودني بعض الشكوك في عميلي، فقد كان الأمر برمته مبهمًا وغامضًا؛ ما أثار توتري، ولكن رغبتي القوية في ذلك العمل غلبتني في النهاية، وذهبت مسرعًا في الوقت المحدد لي حتى ألحق بآخر قطار إلى مدينة إيفورد، ووصلت إلى المحطة المعتمة بعد الساعة الحادية عشرة مباشرة، وقد كنت المسافر الوحيد الذي يصل إلى تلك المحطة، ووجدت عميلي ينتظرني هناك على الناحية الأخرى في الوقت الذي كنت أعبر فيه البوابة، وقد سارع نحوي، واجتذبني دون أن ينبس ببنت شفة إلى عربة كانت تقف في انتظارنا، وقد أمر سائق العربة بأن ينطلق بنا بأسرع ما يمكن”.

فتساءل هولمز، قائلًا: “أكان حصانًا واحدًا يجر العربة؟!”.

فأجابه قائلًا: “أجل”.

فسأله هولمز مرة أخرى قائلًا: “هل لاحظت لونه؟”.

فأجابه قائلًا: “كان كستنائي اللون، وبدا الحصان مفعمًا بالحيوية، فقد سار بنا قرابة الساعة، بينما كان الكولونيل ليساندر ستارك يجلس إلى جواري في صمت طوال الرحلة، ولكنه ظل ينظر إليَّ طوال الوقت، وقد كانت نوافذ العربة متسخة، فلم يتسنَّ لي أن



أرى ما في الخارج بوضوح، كما أن الطريق كان غير معبَّد تمامًا؛ لذا شعرت براحة كبيرة عندما وصلنا وتوقفت العربة بعد الرحلة التي كانت أطول مما ذكر الكولونيل.

واسترسل قائلًا: "وحينها قفز الكولونيل بسرعة شديدة، واجتذبني إلى داخل المنزل، ولم يتسنَّ لي أن أحدد معالم المنزل من الداخل؛ لأنه كان مظلمًا تمامًا، وحينها أخذ الكولونيل يبحث عن بعض أعواد الثقاب، ولكنَّ بابًا فُتح فجأة في نهاية الممر، حتى ظهرت منه بعد ذلك امرأة تحمل في يدها مصباحًا، ترفعه فوق رأسها، كانت امرأة جميلة ترتدي ثيابًا أنيقة،

وتتحدث معه بلغة أجنبية، ثم بدأت تتراجع في فزع، وهو يتحدث إليها، ثم أخذت تنظر إليَّ".

أردف قائلًا: "فاقترب الكولونيل منها، وأخذ يهمس في أذنها ببعض الكلمات، ثم دفعها مرة أخرى إلى داخل الغرفة، ثم فتح غرفة أخرى، وطلب مني المكوث فيها، ولكنها كانت غرفة صغيرة، توجد في منتصفها طاولة دائرية محملة بالكتب الألمانية، وقد ترك الكولونيل ستارك المصباح واختفى، فأخذت أذرع الغرفة جيئةً وذهابًا في قلق، ولكن الباب فُتح فجأة، ورأيت تلك المرأة مرة أخرى، فوضعت إصبعها على شفتيها علامة على وجوب التزامي الصمت، وطلبت مني بلغة إنجليزية ضعيفة أن أغادر في الحال؛ لأن ذلك المكان ليس آمنًا".

"ولكنني قلت لها: 'لا يمكنني المغادرة دون أن أرى الآلة يا سيدتي'، ولكنها أصرت على مغادرتي على الفور، وحينها أخذت أفكر في الرحلة المضنية، وفي الخمسين جنيهًا التي كان يجب أن أحصل عليها، وكيف سأغادر دون أن أقوم بعملي، أو دون أن أحصل على مالي؟".

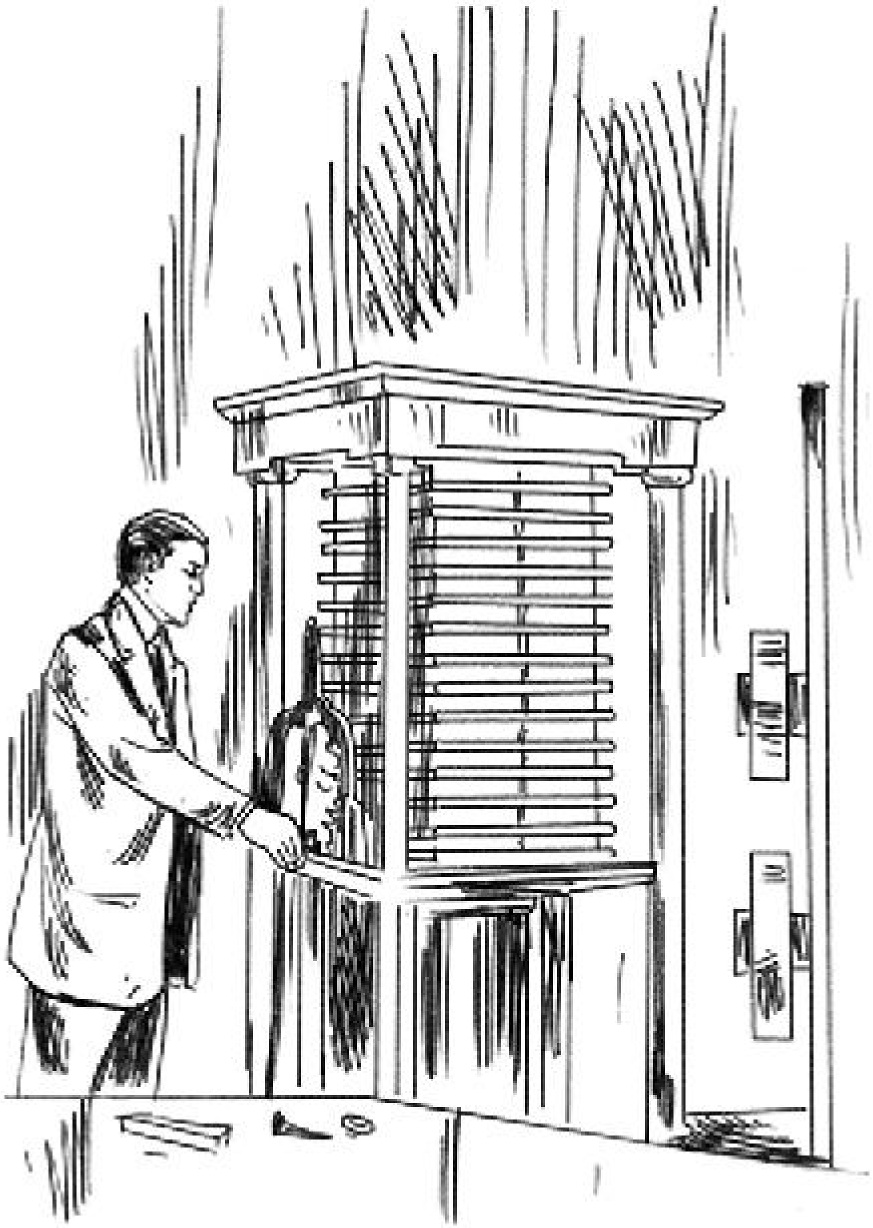
وتابع قائلًا: "وكانت السيدة على وشك أن تقول شيئًا آخر، ولكننا سمعنا وقع أقدام على الدرج، فاختفت تلك السيدة في الحال، وحينئذٍ دخل الكولونيل ومعه السيد فيرجسون مدير أعماله وسكرتيره، وأصابتني الدهشة عندما أخبراني بأن الآلة في داخل البيت، وليست في الخارج، فانطلقت سائلًا: 'ماذا؟ أتقوم بالتنقيب عن تراب القصار داخل المنزل؟'".

"فرد عليَّ قائلًا: 'لا، إننا لا نقوم بعمل أي شيء سوى أننا نضغط ذلك المسحوق هنا، فلا تقلق بشأن هذا، فلا نريد منك سوى أن تفحص تلك الآلة, وتحدد لنا مشكلتها'".

استطرد قائلًا: "اصطحباني إلى الطابق العلوي. كان منزلًا ضخمًا وقديمًا، ذا درج ضيق وممرات متعرجة، به العديد من الأروقة والأبواب الصغيرة المنخفضة، كما لم يكن هناك سجاد أو أثاث، بينما تقشر الطلاء عن الجدران،

وفي ذلك الوقت جعلت أراقب تصرفات الرجلين؛ نظرًا إلى تحذيرات تلك السيدة. توقف الكولونيل ستارك أمام باب منخفض، وأخيرًا قام بفتحه لنجد أنفسنا أمام غرفة صغيرة مربعة الشكل لا تتسع لأن يدخلها ثلاثتنا في وقت واحد، وقد اختار فيرجسون أن يظل خارج الغرفة، بينما اصطحبني الكولونيل إلى داخلها".

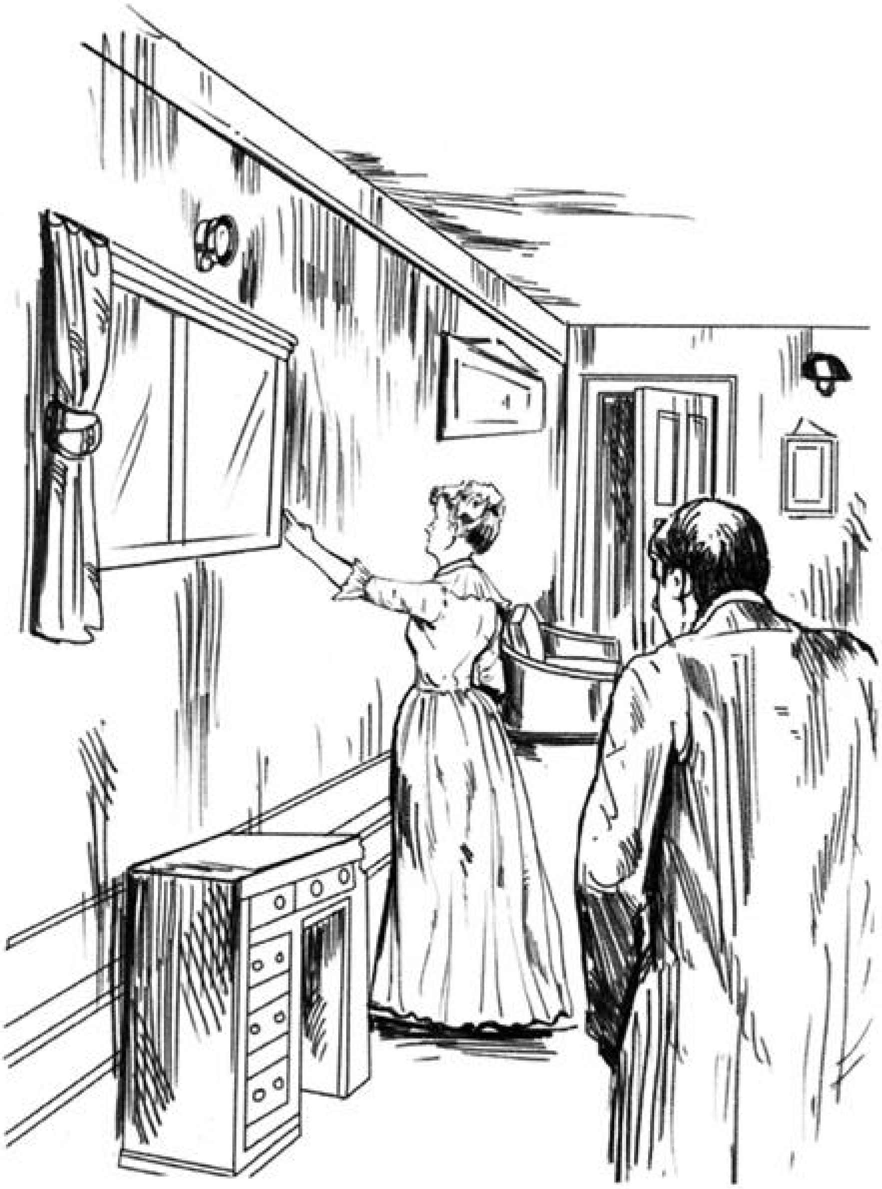
"قال لي: 'نحن داخل المكبس الهيدروليكي الآن, فسقف هذه الغرفة الصغيرة هو الجزء الذي يهبط من المكبس، وهو يهبط بقوة كبيرة على هذه الأرض المعدنية، والآلة تعمل من خلال أعمدة صغيرة من الماء موجودة في الخارج، ووظيفتها استقبال قوة الضغط تلك، وهناك مشكلة في قوة الضغط المندفعة؛ لذا نود منك فحصها'".



استرسل قائلًا: ‘‘فأخذت المصباح، وبدأت بفحص الآلة بالكامل، وقد كانت آلة كبيرة، وقادرة على توليد ضغط كبير، وبينما كنت أفحصها اكتشفت تسريبًا بسيطًا في جزء منها؛ حيث تسبب تقلص الجزء المطاطي في فقدان المكبس الطاقة، وقد اقترحت عدة طرق لإصلاحها، ثم فحصت الجزء الأساسي من الآلة؛ فقد كان ينتابني الفضول لمعرفة كيف تعمل، وقد كانت

جدران الآلة مصنوعة من الخشب، ولكن أرضيتها كانت من وعاء حديدي كبير ومغطاة بالكامل برواسب معدنية".

"حينها اندفع الكولونيل قائلًا: 'ماذا تظن نفسك فاعلًا؟'، وقبل أن أرد عليه هَمَّ بالخروج من الغرفة، وأغلقها عليَّ, فاندفعت نحو الباب في محاولة جاهدة لفتحه، ولكنه لم يكن يُفتح، فصحت حينها طالبًا النجدة! وفجأة سمعت صوت قرقعة الروافع وأزيز الأسطوانة المثقوبة, وعندها أدركت أن الكولونيل قام بتشغيل الآلة، وساعدني النور الصادر من المصباح على رؤية السقف يهبط عليَّ ببطء، فصحت خائفًا، ولكن قرقعة الروافع ابتلعت جلبة صياحي.



وتابع قائلًا: "وأصبح السقف فوق رأسي بقدمين، وكان بإمكاني حين أرفع يدي إلى أعلى أن ألمس سطحه الصلب الخشن، وكنت مذعورًا, إلى أن رأيت شيئًا ما! فتذكرت أن جدران الآلة كانت مصنوعة من الخشب، لكن الأرضية والسقف كانا من الحديد، وعندها انفتح لوح من الخشب في الدقيقة التي كان يهبط فيها السقف إلى الأسفل، وفي لحظة ألقيت بنفسي خارج تلك الفتحة، وبمجرد أن خرجت أُغلقت تلك الفتحة على الفور، ورقدت ألهث على الجهة الأخرى من فرط الخوف، وقد تحطم المصباح

تمامًا بعد أن تمكنت من الهرب؛ ليثبت لي أنني قد أفلت من خطر شديد، وعندها وصلت السيدة الطيبة لتنقذني مرة أخرى، وكم وددت لو سمعت نصيحتها منذ البداية، فقالت لاهثة: ‘تعالَ بسرعة، لا بد أن تهرب قبل أن يأتيا إلى هنا للبحث عنك’”.

“وحينها وقفت على قدمي وجريت معها في ذلك الممر حتى هبطنا الدرج الدائري الملتف، حتى وصلنا إلى غرفة النوم، فأشارت إلى النافذة، وقالت لي: ‘فلتقفز منها! إنها فرصتك الوحيدة’!”.



أضاف قائلًا: ”وفجأة سمعت أصواتًا، ثم رأيت الكولونيل يندفع نحوي وفي إحدى يديه مصباح، وفي اليد الأخرى ساطور جزار، فاندفعت نحو الشباك وفتحته على مصراعيه، ولكنني ترددت لحظة فكرت خلالها في مصير تلك المرأة، ماذا إن آذاها ذلك الرجل المجنون لأنها ساعدتني؟ ولكن الكولونيل دفع المرأة جانبًا؛ لأنها حاولت الإمساك به“.

“وتوسلت إليه قائلة: ‘دعه يذهب يا فريتز! ولن يخبر شخصًا قط بما رأى!’”.

“ولكنه أجابها قائلًا: ‘هل أنت مجنونة يا إليس! إنه يعرف الكثير’، وجرى نحوي، فقفزت من النافذة، ولكنني قبل أن أحرر يدي من عتبة النافذة، هبطت على يدي سكين الكولونيل، فُقطع إبهامي وانفجر الدم متدفقًا بكميات غزيرة، وعندئذٍ أُغمي عليَّ! وعندما أفقت اندهشت؛ لأنني لم أجد نفسي بأي مكان قرب ذلك المنزل، ولكنني كنت بالقرب من محطة القطار، فعدت إلى دياري مستقلًا قطار الصباح، وقد أتيت إليك في هذه اللحظة أطلب منك النصيحة”.

جلستُ أنا وهولمز في صمت تام بعد تلك القصة المثيرة، حتى قرر هولمز أن يذهب إلى إيفورد في الحال، لكي يبدأ عمله في التحقيق، وكان بصحبتنا المهندس الهيدروليكي، ورجل يرتدي ثيابًا بسيطة، والمفتش برادستريت من سكوتلاندريارد، وقد انطلق برادستريت قائلًا: “على الأرجح لا بد من أن يكون المنزل في الجنوب، حيث تكثر الغابات في ذلك المكان”.

وقال الرجل الذي يرتدي ثيابًا بسيطة: “أعتقد أن المنزل يقع جهة الغرب، حيث توجد عدة قرى هادئة هناك”، ولكنني قلت: “أعتقد أنه في الشمال، حيث لا توجد تلال هناك، ولم تصعد العربة كما لاحظ صديقنا”.

أما هولمز, فقد توصل إلى استنتاج بكل هدوء، مشيرًا إلى موقع معين على الخريطة: “جميعكم على خطأ، إن مكانهم هنا”.

ولكن هاثرلي رد عليه قائلًا: “ولكن ما تفسيرك للرحلة الطويلة التي قطعتها العربة, والتي ربما وصلت إلى عشرين كيلومترًا”.

فرد عليه هولمز قائلًا: “لقد ذهبت العربة عشرة كيلومترات، ثم عادت عشرة كيلومترات مرة أخرى؛ فقد قلت إن الحصان كان مفعمًا بالحيوية وفي أوج نشاطه عندما رأيته للمرة الأولى، فهل كانت حاله ستكون هكذا إذا قطع

مسافة عشرين كيلومترًا ليأخذك من محطة القطار؟ إنهم عصابة لتزوير النقود؛ وهم يستخدمون الآلة لصك النقود المزيفة".

وعندها صاح برادستريت قائلًا: "لا أطيق الانتظار، أريد أن أرميهم في السجن خلف القضبان".

ولكن كل ما وجدناه عندما وصلنا إلى محطة إيفورد كان دخانًا ينبعث من مجموعة من الأشجار في المنطقة المجاورة، وقد قال لنا ناظر المحطة إن النيران قد نشبت في بيت الدكتور بيتشر ليلًا.

وحينها تساءل المهندس، قائلًا: "هل الدكتور بيتشر هو ذلك الرجل الألماني النحيف الذي يتميز بأنف طويل وحاد؟".

فضحك مدير المحطة، قائلًا: "لا يا سيدي، إن الدكتور بيتشر رجل إنجليزي، ولكن ضيفه هو ذلك الرجل الغريب النحيف".

جرينا إلى ذلك البيت المحترق، كان بيتًا كبيرًا أبيض اللون، وكانت النيران قد نشبت في كل نوافذه، وقد حاولت ثلاث عربات إطفاء، في الحديقة، السيطرة على الحريق، وعندها أشار هاثرلي بحماس إلى النافذة الثانية، قائلًا: "هذه هي النافذة التي قفزت منها".



فقال هولمز: ‘‘على الأقل أخذت بثأرك منهم، لا بد من أن مصباح الزيت قد أشعل النيران في الحوائط الخشبية عندما حطمه المكبس الهيدروليكي’’.

وقد فر المجرمان وهربا، ولم نستطع اقتفاء أثرهما على الرغم مما بذلناه من جهود، وقال المهندس بنبرة حزينة ونحن نستعد للعودة إلى لندن: ‘‘ولكنني فقدت إبهامي، بالإضافة إلى الخمسين جنيهًا، فما الذي كسبته من كل هذا إذن؟’’.

حينها رد عليه هولمز، وهو يضحك: "لقد اكتسبت الخبرة".

٣. الشريط المرقط



في أبريل من عام ١٨٨٣، جاءت سيدة لمقابلتنا، وعلى الرغم من أنها تبدو في الثلاثين من عمرها، فإن أمارات الشيب المبكر قد ظهرت على شعرها

الذي تحول إلى اللون الرمادي، كما بدت على وجهها علامات القلق والإنهاك الشديدين.

تحدثت قائلة: "إنني خائفة يا سيد هولمز".

أجابها هولمز مطمئنًا إياها: "لا تخافي؛ سوف نساعدك، أعرف أنكِ قد وصلت في قطار هذا الصباح".

فقالت له: "هل تعرفني؟".

أجاب هولمز قائلًا: "لا أعرفكِ، ولكنني أرى تذكرة بيدك، كما أعرف أنك قد أتيت في عربة يجرها حصانان مسافة طويلة في طريق وعر، قبل أن تصلي إلى المحطة".



فحدقت السيدة إلى هولمز فاغرة فاها من فرط الدهشة، فابتسم هولمز, وفسر لها الأمر، قائلًا: "ليس في الأمر لغز يا سيدتي، فالذراع اليسرى من السترة التي ترتدينها مغطاة بالوحل وآثاره حديثة، وليس هناك سوى العربة الصغيرة التي يجرها حصانان هي وحدها التي تنثر الوحل بهذا الشكل عندما تجلسين على الجانب الأيسر من السائق".

فقالت له تلك السيدة: "أنت محق يا سيد هولمز، فقد انطلقت من منزلي قبل الساعة السادسة واستقللت أول قطار، ولقد سمعت الكثير عنك وعن مهاراتك؛ لذا أرجوك أن تساعدني! وإنني لا أستطيع أن أدفع لك أتعابك في الوقت الحالي، ولكنني سأدفعها لك في غضون الشهر الحالي؛ حيث إنني سأتزوج خلاله".

فرد عليها هولمز قائلًا: "سأساعدكِ بكل تأكيد".

وعندئذٍ قالت له السيدة: "اسمي هيلين ستونر، وأعيش حاليًا مع زوج أمي، وهو آخر فرد على قيد الحياة من عائلة من أعرق العائلات الساكسونية في إنجلترا، وهي عائلة رويلوت، وكانت هذه العائلة تقيم في ستوك موران على الحدود الغربية لمقاطعة سري، وقد كانت تلك العائلة واحدة من أغنى العائلات الإنجليزية في وقت ما، ولكن معظم الثروة التي كانت قد كوَّنتها تلك العائلة قد ذهبت أدراج الرياح جراء الإسراف والبذخ، ولم يتبقَّ سوى القليل من



الأفدنة، ومنزل عمره مائتا عام على الرغم من أنه يقع تحت رهن كبير".

واسترسلت قائلةً: "إن زوج أمي رجل متعلم، وحصل على درجة علمية في الطب، وقد أسس لنفسه عيادة، واتخذ مقرًّا لها في مدينة كالكتا بالهند، ولكنه ذات يوم عاقب خادمه في نوبة غضب شديدة، وضربه ضربًا مبرحًا أفضى إلى موته، فسُجن على أثر ذلك، وبعدما قضى عدة أعوام في السجن بالهند، عاد إلى إنجلترا رجلًا محبطًا، وقد تزوج الدكتور رويلوت من أمي السيدة ستونر عندما كانا في الهند، وكانت حينها أرملة شابة للميجور

ستونر الذي كان يخدم في سلاح المدفعية في البنغال، وكنت أنا وأختي جوليا قد بلغنا عامنا الثاني عندما تزوجا في ذلك الوقت".

وتابعت قائلة: "وقد اعتادت أمي الحصول على ألف جنيه كل عام، وقد أعطت المبلغ كله إلى الدكتور رويلوت بعد الزواج، ولكن بشرط، وهو أن نأخذ أنا وأختي جزءًا من ذلك المال كل عام إذا تزوجنا، وبعدئذٍ لقيت أمي حتفها في حادثة على السكك الحديدية، بعدما عدنا إلى إنجلترا، وبعد ذلك اصطحبنا الدكتور رويلوت إلى منزل أجداده في ستوك موران، وقد ترك عمله لأن المال الذي تركته أمي كان كافيًا لتلبية احتياجاتنا".

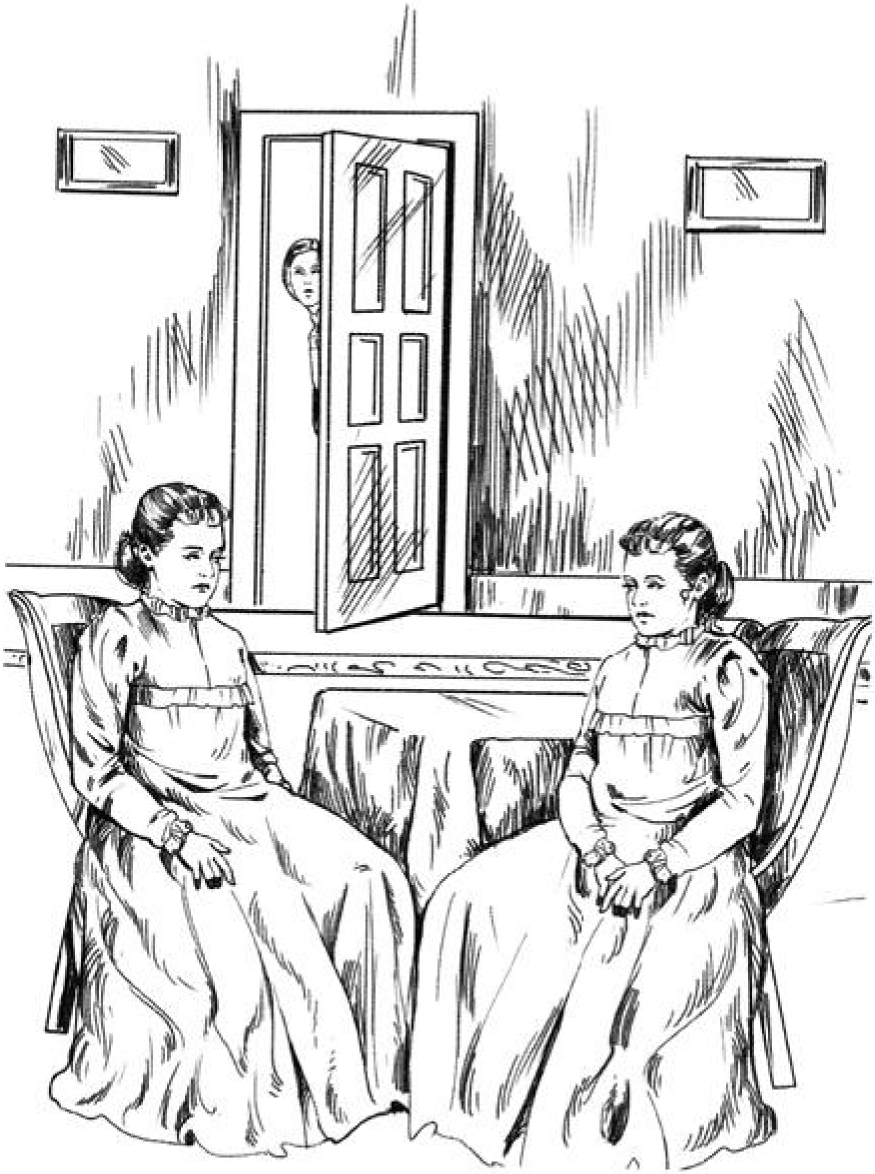


وأضافت قائلة: "ولكن طرأ على زوج أمي تحول كبير خلال تلك الفترة، فكان يفضل أن يجلس بمفرده، بدلًا من أن يصادق الناس، وأغلق على نفسه أبواب المنزل, وقلّما كان يخرج للتجول، كما تغير أسلوبه إلى الغلظة فصار منبوذًا، ولم يكن له أي أصدقاء سوى الغجر المتجولين، فقد سمح لهم بأن يقيموا خيمهم على أراضي العائلة، وفي مقابل ذلك كان يذهب ويعيش معهم في خيمهم؛ فقد كان مولعًا بالحيوانات الهندية، وكان لديه فهد وقرد من نوع البابون، وكانا يتجولان بحرية مطلقة في أرضه، فيخاف أهل

القرية منهما، كما يخافون من ذلك الرجل، وقد عشنا أنا وأختي حياة بائسة؛ فلم يأتِ إلينا خادم إلا ويمكث فترة قصيرة، ثم يرحل، فاضطررنا إلى القيام بأعمال المنزل كلها، وقد تُوفيت أختي جوليا عن عمر يناهز الثلاثين، لكنَّ الشيب كان قد دب في شعرها مثلي الآن".

عندئذٍ قاطعها هولمز قائلًا: "لقد توفيت أختك إذن، أليس كذلك؟".

فأجابته قائلة: "أجل، تُوفيت منذ عامين وأريد أن أحدثك في هذا الأمر؛ في الحقيقة لم يأتِ شخص من عمرنا، أو من مكانتنا ليزورنا، ولكن خالتنا السيدة هونوريا وستفيل كانت تعيش بالقرب من مدينة هارو، وكان مسموحًا لنا بمقابلتها، حتى التقت أختي هناك بأحد



ضباط الجيش منذ عامين وخطبها، ولم يعترض زوج أمي حينها على تلك الزيجة، ولكن أختي تُوفيت قبل حفل زواجها بخمسة عشر يومًا فحسب".

واستطردت قائلة: "ولم نكن نعيش إلا في جناح واحد من ذلك المنزل الضخم، وكانت غرف ذلك الجناح في الطابق الأرضي، أما غرف الجلوس فقد كانت تقع في وسط المنزل، وكان زوج أمي يقيم في الغرفة الأولى، وأختي جوليا كانت تقيم في الغرفة الثانية، أما الثالثة فقد كنت أقيم أنا

بها، وقد كانت تلك الغرف الثلاث تطل على الممر نفسه، كما كانت النوافذ تطل على الحديقة نفسها''.

تابعت: ''وفي الليلة التي ماتت فيها أختي جوليا كان الدكتور رويلوت قد أوى إلى فراشه مبكرًا، ولكننا كنا نعرف أنه لم يخلد إلى النوم بعد؛ لأن أختي جوليا كانت تنزعج من رائحة التبغ الهندي القوية التي كانت تنبعث من غرفته، ولذا أتت إلى غرفتي، ومكثت بها حتى الحادية عشرة من منتصف الليل، ولكنها سألتني سؤالًا غريبًا قبل أن تغادر الغرفة، وقالت: 'أسمعتِ يا هيلين صوت شخص يصفر في الليل؟'''.

فأجبتها متسائلة: ''لا، لم أسمع ذلك الصفير، ولكن لماذا؟''.

فقالت جوليا: ''كنت دومًا أسمع صفيرًا منخفضًا، ولكنه صار واضحًا في الليالي القليلة الماضية، ولم أعرف مصدره، ولكنني أردت سؤالكِ عما إذا كنتِ قد سمعته من قبل أم لا''.

فأجبتها: ''لا، لم أسمع شيئًا مثل هذا من قبل على الإطلاق، فربما يكون ذلك الصوت هو صوت الغجر''.

تابعت السيدة قائلة: ''كشف ثغرها عن ابتسامة، ثم انصرفت، وسمعتُها تغلق باب حجرتها بالقفل بعد ذلك بقليل''.

فسألها هولمز على الفور، قائلًا: ''هل كان من عادتكما إغلاق الباب بالقفل في أثناء الليل؟''.

فأجابته هيلين: ''أجل اعتدنا ذلك؛ خوفًا من الفهد والقرد البابون، ولكنني في تلك الليلة لم أستطع النوم على الإطلاق؛ لأنني كنت خائفة، فأنا وأختي جوليا توأم، فكانت هناك صلة قوية بيننا كتلك التي توجد بين كل التوائم، وكانت إحدانا تشعر بالأخرى، وكانت ليلة موحشة شديدة العواصف، وكان المطر يهطل بغزارة، ويضرب بشدة على النوافذ، وإذ بي أسمع صرخة مدوية من أختي جوليا، فقفزت من سريري، وأسرعت إلى الممر، وسمعت صوت الصفير حينما اقتربت من الباب لأفتحه، كما سمعت أيضًا صوتًا

منخفضًا لارتطام جسم معدني في غرفتها، فجريت تجاه غرفة أختي، وكانت مفتوحة.

أكملت هيلين حديثها قائلةً: ‘‘ظهرت جوليا عند الباب ترتعد فرائصها، وكان وجهها قد أصبح شاحبًا للغاية، فاحتضنتها، ولكنها سقطت من بين يدي، وكانت تصرخ، وتتلوى من الألم، وبينما كنت أنحني عليها جعلت تشير إلى غرفة زوج والدتي، وتصرخ قائلة: هيلين! إنه الشريط! الشريط المرقط!’’.

‘‘فاندفعت أنادي زوج أمي؛ لأن جوليا كانت قد توقفت عن الكلام، ولم يعد بإمكانها أن تتحدث بعد الآن، فأتي مسرعًا بثياب النوم، ولكنه عندما وصل كانت جوليا قد فارقت الحياة!’’.

ولكن هولمز سألها، قائلًا: ‘‘أتعتقدين حقًّا أنكِ سمعتِ صوت الصفير، وقرع المعدن؟’’.

قالت: ‘‘نعم’’.

فسألها قائلًا: ‘‘ما الذي كانت ترتديه أختكِ؟’’.

فردت عليه قائلةً: ‘‘كانت جوليا ترتدي ثياب النوم، ولكنها كانت تمسك بعلبة الثقاب في يدها اليسرى، وعود ثقاب في يدها اليمنى’’.

فسألها ثانية: ‘‘وما تفسير الشرطة لما حدث؟’’.

أجابته: ‘‘لقد تحرت الشرطة بعناية هذه المسألة، ولكنها لم تحدد سببًا وجيهًا للوفاة؛ فقد كانت النوافذ مزودة بقضبان حديدية تغلقها، كما كانت الجدران والأرضية مصمتة تمامًا، وكانت



المدخنة واسعة قليلًا، ولكنها مغلقة بإحكام من الأعلى؛ لذا من المؤكد أن جوليا كانت بمفردها في الغرفة، كما لم يحتوِ جسمها على أية علامات تدل على استخدام العنف معها".

فسألها هولمز: "هل تسممت؟".

فأجابته قائلة: "إن الطبيب فحصها جيدًا، ولكنه لم يجد آثارًا لسم".

فسألها مرة أخرى: "وماذا عن الشريط المرقط؟".

فأجابته قائلةً: "ليست لديَّ أدنى فكرة عنه".

قال هولمز، وهو يهز رأسه: "هناك شيء غامض".

ثم تابعت هيلين حديثها قائلةً: "لقد مر عامان على هذا الحادث المروع، وأصبحت وحيدة منذ ذلك الحين. ومنذ شهر، تقدم إلى الزواج مني صديق عزيز أعرفه منذ سنوات عديدة اسمه برسي أرميتاج، ويقطن في مدينة ريدنج، وقد أبدى زوج أمي موافقته على تلك الزيجة، وحينها عقدنا العزم على الزواج في فصل الربيع".

وتابعت: "منذ يومين، اضطررت إلى الإقامة في غرفة أختي جوليا بسبب بعض الإصلاحات التي كانت تحدث في غرفتي. وفي الليلة الماضية، بينما كنت أرقد مستيقظة أفكر في أختي جوليا سمعت صوت الصفير نفسه الذي كنت قد سمعته في الليلة التي



ماتت فيها، فقفزت من سريري، وأضأت المصباح، ولكنني لم أرَ شيئًا في الغرفة، وكنت خائفة حينها خوفًا شديدًا من أن أنام وحدي، فتركت الغرفة، والمنزل بمجرد أن طلع النهار، وجئت إليك أطلب نصيحتك".

وعندها قال هولمز: "لقد تصرفتِ بحكمة؛ لأن هذه المسألة خطيرة بالفعل، وإنني أريد المزيد من التفاصيل عنها، فهل يمكنني أن أفحص تلك الغرف بنفسي دون علم زوج أمكِ إذا ذهبنا إلى ستوك موران اليوم؟".

فأجابته هيلين قائلة: "أجل يمكنك ذلك؛ فهو سيغادر إلى المدينة اليوم لإنجاز عمل مهم".

أخبر هولمز هيلين بأننا سنأتي إلى منزلهم بعد الظهر، وبعدما انصرفت هيلين, ذهب هولمز إلى مجلس عموم الأطباء؛ حتى يجمع بعض البيانات المتعلقة بالطبيب، وبتلك القضية، وقد عاد في تمام الساعة الواحدة ومعه ورقة زرقاء.

وتحدث قائلًا: "لديَّ الآن وصية الزوجة المتوفاة، وحتى أعلم المدلول الدقيق للوصية، فلا بد أن أعرف القيمة الحالية للاستثمارات؛ فقيمة الدخل التي كانت في وقت موت أم هيلين تقدر بألف ومائة جنيه، لا تزيد الآن على سبعمائة وخمسين جنيهًا بسبب تدهور الأسعار. وهذا يعني أن كل ابنة بإمكانها أن تحصل



على ٢٥٠ جنيهًا إذا تزوجت، ومن ثم إذا تزوجت إحدى الفتاتين فإن نصيب زوج الأم سيقل بشكل كبير، لذا فلديه دافع كبير لقتل أي منهما. هيا يا واطسون، احمل مسدسك الآن".

وانطلقنا حتى وصلنا إلى ستوك موران في تمام الساعة الثالثة مساءً، واستقبلتنا السيدة هيلين ستونر التي قالت لنا إن زوج والدتها لن يكون موجودًا حتى المساء، وكان البيت مبنيًا بالطوب الرمادي، وقد تكوَّن من

جزء مركزي مرتفع، وجناحين في كل ناحية منه، وقد سكنت العائلة في الجانب الأيمن منه، ولكن هولمز فحص النوافذ أولًا، ثم قال لهيلين: "لم تكن هناك حاجة إلى إصلاح الحائط الأخير من غرفتك".

فردت هيلين عليه قائلة: "معك حق، وأعتقد أن ذلك لم يكن إلا حجة لإخراجي من غرفتي".

وعندها قال هولمز: "نعم، فهذا الأمر ذو دلالة! فكلاكما كانت تغلق عليها الباب في المساء، ومن الواضح أنه لا يمكن لأي شخص أن يدخل إلى الغرف عبر الممر"، ثم طلب من هيلين أن تدخل إلى غرفتها وتغلق النوافذ، وبعد ذلك حاول هولمز أن يفتح النافذة من



الخارج ولكنه لم يستطع، وعندئذ قال: "حسنًا، من المستحيل أن ندخل من هنا، فدعونا ندخل المنزل الآن!".

دخلنا الغرفة التي تنام هيلين ستونر فيها الآن، وكانت غرفة مريحة بسقف منخفض، ومدفأة كبيرة، وكان فيها سرير واسع، أبيض اللون، وخزانة

ملابس بنية، ومنضدة الزينة بالقرب من النافذة، كما كان هناك كرسيان صغيران وسجادة في وسط الغرفة، فتفحص هولمز الغرفة بعناية.

وسأل مشيرًا إلى حبل الجرس الغليظ الذي يتدلى إلى جانب السرير، قائلًا: "حين يُقرع هذا الجرس, فأين يرن؟".

فردت عليه هيلين قائلة: "يرن في غرفة الخادمة".

ولكن هولمز أبدى ملاحظة، قائلًا: "إنه يبدو أحدث من الأشياء الأخرى التي توجد في الغرفة".

فردت عليه هيلين قائلة: "أجل، فلقد تم وضعه منذ عدة أعوام قليلة مضت".

فقال لها: "هل أختك هي من طلبته؟".

فردت عليه قائلة: "لا! فهي لم تستخدمه قط".

فقال هولمز متأملًا: "إنه لا يبدو مهمًا على الإطلاق"، ثم قام بفحص كل من الجدران والأرضيات بعدسته المكبرة، ثم فحص

السرير، واستغرق وقتًا طويلًا، وأخيرًا شد هولمز حبل الجرس بقوة، ولكن شيئًا لم يحدث!

فتعجب قائلًا: "إنه ليس جرسًا حقيقيًا!".

فقالت هيلين: "ألا يُصدر صوتًا؟".

فرد عليها هولمز قائلًا: "لا, لا يُصدر أيَّ صوت، لأنه ليس متصلًا حتى بالحبل. والآن يبدو الأمر مشوقًا؛ لأن الحبل مثبت بخطاف فوق فتحة التهوية الصغيرة".

فقالت هيلين: "إن الأمر غريبٌ يا سيد هولمز، فأنا لم ألاحظ ذلك من قبل".

فرد عليها هولمز قائلًا: "الأغرب من هذا أن فتحة التهوية مفتوحة على الحجرة الأخرى، وليست مفتوحة على الهواء الطلق".

وحينها قالت له السيدة هيلين: "إن تلك الفتحة تم تصميمها أيضًا عندما تم تركيب الجرس".

فأبدى هولمز ملاحظته، قائلًا: "هذا أمر مدهش! جرس غير حقيقي، وحبال، وفتحة تهوية لا تعمل على تهوية المكان"، ومن ثم قرر أن يلقي نظرة على غرفة الدكتور رويلوت.

وكانت غرفة الدكتور جريمزبي رويلوت أكبر من غرفة ابنة زوجته، وكانت تحتوي على سرير ورف خشبي صغير مليء بالكتب، وكرسي خشبي صغير بسيط تم وضعه إلى جوار الحائط، وطاولة مستديرة، وخزانة حديدية كبيرة، ففحص هولمز كل شيء، ومن ثم نقر على الخزانة.

وسأل هيلين قائلًا: "ما الذي يوجد داخل هذه الخزانة".

فأجابته قائلةً: "أوراق الأعمال الخاصة بزوج أمي".

فقال لها: "أمتأكدة أنه لا توجد بها قطة؟".

فردت عليه قائلة: "لا! إنها فكرة غريبة!".

فقال هولمز، وهو يمسك بصحن صغير به بعض الحليب قد تم وضعه أعلى الخزانة: "حسنًا، ماذا عن هذا الصحن؟".

فردت عليه هيلين قائلة: "حسنًا، لدينا هنا فهد وقرد من نوع البابون، ولا توجد لدينا هنا أية قطط!".

وبعدها قام هولمز بفحص الكرسي الخشبي بدقة، ثم أشار إلى سوط صغير مخصص للكلاب يوجد على السرير، فقال: "إن هذا شيء مثير للاهتمام!".

وقد كان السوط ملفوفًا حول نفسه، ومربوطًا بطريقة جعلته يشبه الحبل المجدول، وقد ظل هولمز صامتًا بعض الوقت، ثم قال في نهاية الأمر: "أيتها السيدة ستونر, استمعي إليَّ جيدًا، لا بد أن نقضي أنا وصديقي الليلة في غرفتك، حتى نتحقق من مصدر تلك الضوضاء التي كانت تزعجكِ!".



وقد حدقت أنا والسيدة ستونر إلى هولمز في دهشة، عندما سمعنا طلبه، ولكنه قال لنا: ‘‘دعوني أوضح لكما، أظن أن هذا المبنى الذي هناك هو فندق القرية، أليس كذلك؟’’.

فقالت هيلين: ‘‘أجل، هو فندق كراون’’.

فرد عليها هولمز، قائلًا: ‘‘أيمكننا رؤية نوافذكِ من هناك؟’’.

فأجابته هيلين: “أجل”.

فتابع قائلًا: “عندما تسمعين زوج أمكِ يدخل إلى غرفته في المساء، فعليك أن تفتحي نافذتكِ، وتضعي المصباح على حرفها حتى نراه من الفندق كإشارة لنا، وعليكِ بعدها أن تغادري غرفتكِ بهدوء وتذهبي إلى غرفة نومكِ القديمة، ثم اتركي ما تبقى من الأمر لنا! وعلينا أن ننصرف الآن، فإذا رآنا الدكتور رويلوت هنا، فستذهب رحلتنا أدراج الرياح”.

وحجزنا أنا وهولمز غرفة في فندق كراون، وكانت الغرفة في الطابق العلوي، وكانت لدينا رؤية واضحة من نافذتنا للجناح المأهول في منزل ستوك موران مانور؛ حيث رأينا الدكتور رويلوت يصل، وتبدو عليه علامات الغضب.

قال هولمز محدثًا واطسون: “أتعرف يا واطسون، كنت أعلم بوجود فتحة التهوية قبل أن نأتي إلى هنا؛ فالسيدة جوليا ستونر كانت تشم رائحة التبغ المنبعثة من حجرة الدكتور رويلوت على أية حال”.



فرد عليه واطسون قائلًا: "وما الضرر في ذلك؟".

فسأله هولمز: "هل لاحظت أن السرير كان مثبتًا بالأرضية يا واطسون؟".

فأجابه قائلًا: "لا، لم ألاحظ ذلك!".

تابع هولمز، قائلًا: "كان السرير مثبتًا حتى لا يتحرك، وكان موضوعًا بطريقة ليحاذي بالضبط فتحة التهوية والحبل". وحينما دقت عقارب

الساعة الحادية عشرة رأينا ضوءًا ساطعًا من منتصف النافذة المقابلة لنا.

عندئذ هبَّ هولمز واقفًا، وقال: "تلك إشارتنا".

بعد لحظة كنا في الطريق، فدخلنا حديقة المنزل ثم تسللنا إلى المنزل في الظلام، ودلفنا إلى الغرفة، وقد أغلق هولمز النوافذ في صمت، ونقل المصباح إلى الطاولة، ثم جعل يحدق إلى جميع أنحاء الغرفة بشكل كبير.

كان كل شيء فيها على الوضع الذي رأيناه في الصباح، وعندئذٍ أشار لي هولمز بالصمت، وفهمت إشارته، فسحبت مسدسي، ووضعته على الطاولة، وكان هولمز قد حمل معه عصا طويلة ورفيعة، وأعواد ثقاب، وشمعة، وقام بإطفاء المصباح وانتظرنا في ظلام دامس.



وبعد لحظة شممنا رائحة زيت يحترق، ومعدن يُسخن، ثم أضيء مصباح في الغرفة المجاورة وسمعنا صوت حركة خفيفة، وبعدها ساد صمت تام، ولكن الرائحة كانت قد ازدادت قوة، انتظرنا مدة نصف الساعة حتى سمعنا صوتًا هادئًا لطيفًا، وبمجرد ما سمعناه أشعل هولمز عود الثقاب، وقرع الجرس بعصاه باهتياج.

فصاح قائلًا: "أتراه يا واطسون؟"، ولكنني لم أرَ شيئًا على الإطلاق إلا وجه صديقي الذي كان قد شحب من شدة الخوف، ثم ألقى هولمز نظرة على فتحة التهوية، ثم دوت صرخة من الغرفة المجاورة، ومن ثم ارتفع الصوت شيئًا فشيئًا!

فقلت لاهثًا: "ما معنى هذا؟".

فرد عليَّ هولمز قائلًا: "إن هذا يعني أن الأمر برمته قد انتهى"، وألح عليَّ أن أتبعه إلى غرفة الدكتور رويلوت، وحينها سحبت مسدسي ودخلت الغرفة، وشاهدنا مشهدًا غريبًا! كان المصباح المظلم الموضوع على الطاولة قد رمى بشعاع من الضوء على الباب المفتوح للخزانة الحديدية، وكان الدكتور جريمزبي رويلوت يجلس دون حراك على الإطلاق على مقعده الخشبي إلى جانب الطاولة، يمسك السوط بين ذراعيه، وقد مد ذقنه إلى أعلى، وكانت عيناه مثبتتين في زاوية السقف، وحول رأسه شريط أصفر غريب مرقط ببقع بنية.



فهمس هولمز قائلًا: "إنه الشريط المرقط!".

وبينما أتقدم إلى الأمام، إذ بذلك الشريط الغريب يبدأ في الحركة.

فتعجب هولمز قائلًا: "إنها أفعى المستنقعات! وهي أخطر أفعى في الهند، وقد مات الدكتور في غضون عشر ثوانٍ عندما عضته تلك الأفعى، فدعنا نضع هذا المخلوق مكانه، ثم ننقل السيدة ستونر إلى مكان آمن، ولا بد أن نخبر الشرطة بما حدث".

وقد أوضح هولمز كل شيء لي عندما انتقلت السيدة ستونر إلى بيت خالتها، قائلًا: "في بداية الأمر، اعتقدت خطأً أن الغجر هم من ارتكبوا

الجريمة، ولكنني بعد أن أتيت إلى هنا وجدت أن كل شيء متصل بفتحة التهوية والحبل، ولأن السرير كان مثبتًا بالأرضية، فكان من السهل تخمين أن الحبل لم يكن سوى واصلة تسمح لشيء ما بالمرور عليه من خلال تلك الفتحة الضيقة حتى تصل إلى السرير، كما اعتقدت أنها ستكون أفعى كبيرة؛ لأن الدكتور كان مولعًا بالحيوانات الهندية، ولأن سم الأفاعي لا يكشفه أي تحليل كيميائي".



وأردف يحلل الموقف قائلًا: "أما فيما يتعلق بصوت الصفير فربما يكون الدكتور قد درَّب الأفعى باستخدام الحليب الذي رأيناه، وكان يضعها بعد

ذلك في فتحة التهوية, وكان يعلم تمامًا أنها ستزحف على ذلك الحبل حتى تصل إلى السرير. وعندما انتهيت من فحص الكرسي الخشبي، وجدت أنه كان يستخدمه في الوقوف عليه، كما كان من السهل أن أعرف أنه قد فعل ذلك حتى يصل إلى فتحة التهوية، أما الصوت المعدني، فكان من المرجح أنه صوت باب الخزنة وهو يُغلق، وحين سمعت صوت فحيح الأفعى هاجمتها على الفور، بعدما أشعلت عود الثقاب".

فقلت له في احترام شديد: "هل أردت أن تعيدها مرة أخرى إلى الغرفة المجاورة التي أتت منها من خلال فتحة التهوية".

فقال هولمز دون أي شعور بالذنب: "كلا، بل رغبتُ في قلب الجريمة على المجرم، وجعلها تزحف إلى الغرفة المجاورة وتعض سيدها".

٤. لغز وادي بوسكومب



تلقيت خطابًا من صديقي شيرلوك هولمز ذات صباح، مكتوبًا فيه ‘‘هل أنت متفرغ لمدة يومين يا واطسون؟ فقد وصلتني برقية بخصوص المأساة

التي حدثت في وادي بوسكومب، سأكون سعيدًا إذا صحبتني، وسنغادر بادنجتون في الساعة الحادية عشرة والربع".

وكان لديَّ عمل كثير حينها، ولكنني كنت متحمسًا للذهاب مع هولمز؛ لأنني سأكتسب خبرة جديدة، لذا استقللت عربة حتى وصلت إلى محطة قطار بادنجتون في أقل من نصف ساعة، وقد استقبلني هولمز على الرصيف، وكان سعيدًا برؤيتي.

وسألني بينما كنا نصعد على متن القطار: "هل لديك أية معلومات عن القضية التي نحن بصددها؟".



فأجبته على الفور: "كلا، لا أعلم أي شيء!".

فرد عليّ قائلًا: "إن الصحف اللندنية لم تسرد الواقعة بالتفصيل، ولكنني قرأت سريعًا كل النسخ الحديثة من الصحف التي كانت تشير بأصابع الاتهام إلى ابن الرجل المقتول".

فقلت له: " هي جريمة قتل إذن؟".

فرد هولمز قائلًا: ‘‘حسنًا، علينا أن نكتشف الحقيقة، إن وادي بوسكومب منطقة ريفية تقع بالقرب من مدينة روس في مقاطعة هيرفوردشاير، أما السيد جون تيرنر فهو من أكبر ملاك الأراضي في تلك المنطقة، وقد عاد منذ سنوات قليلة من أستراليا، حيث اعتاد أن يعمل هناك، وكان قد أجَّر إحدى مزارعه التي تقع في هاثرلي إلى رجل يُدعى السيد تشارلز مكارثي الذي كان يقيم في أستراليا أيضًا، وكانا قد تعرف كل منهما بالآخر، وكان لدى مكارثي ابن يبلغ ثمانية عشر عامًا، وكانت لدى تيرنر ابنة في العمر نفسه تقريبًا، وكان كلا الرجلين أرملين، يعيشان حياة منعزلة، على الرغم من أن عائلة مكارثي كانت مولعة بالرياضة، وكان لدى مكارثي خادم وخادمة، بينما كان يخدم في منزل السيد تيرنر ستة خدم على أقل تقدير’’.

واسترسل قائلًا: ‘‘وإليك الآن وقائع القضية! غادر مكارثي يوم الاثنين الماضي، الثالث من شهر يونيو، منزله في تمام الساعة



الثالثة من بعد الظهيرة، كي يذهب إلى بحيرة بوسكومب، وهي بحيرة صغيرة تقع في الوادي، وكان قد أخبر خادمه بأنه مرتبط بموعد مهم في تمام الساعة الثالثة، ولكنه لم يعد حيًّا من ذلك الموعد".

وتابع قائلًا: "وقد رآه شاهدان وهو يمشي مسافة نصف كيلومتر من مزرعة هاثرلي إلى بحيرة بوسكومب، أحدهما امرأة عجوز لم يرد اسمها، وأما الشخص الآخر فرجل يُدعى وليام كراودر، وكان ذلك الرجل حارس منطقة

الصيد الخاصة بالسيد تيرنر، وقد رآه كل من الشاهدين يمشي وحيدًا، ولكن الحارس ذكر أنه قد رأى ابن السيد مكارثي، ويُدعى جيمس مكارثي، يسير في الطريق الذي سار فيه والده بعد دقائق معدودة".

وأردف قائلًا: "كان مكارثي الصغير يحمل بندقية، ولكن الحارس لم يولِ الأمر أهمية كبيرة، إلى أن سمع بتلك المأساة في وقت لاحق. وتحيط ببحيرة بوسكومب غابات كثيفة، وكانت هناك فتاة في الرابعة عشرة من عمرها تُدعى بيشنس موران -وهي ابنة حارس منتجع وادي بوسكومب - تقطف الزهور في إحدى تلك الغابات، عندما رأت السيد مكارثي وابنه يتشاجران مشاجرة عنيفة، وقد عنَّف السيد مكارثي ابنه، الذي لوَّح بيديه، وكأنه يريد أن يلطمه.

أكمل قائلًا: "لقد كانت الفتاة المسكينة مذعورة للغاية، حتى إنها هربت، وأخبرت أمها بكل شيء، وبينما كانت تخبر أمها؛ أتى جيمس مكارثي مسرعًا إلى الكوخ؛ ليعلن وفاة أبيه، وقد طلب العون من الحارس، وكانت يده اليمنى وكمه ملطخين بدماء حديثة، أما جثة أبيه فقد وُجدت ممددة على العشب إلى جوار البحيرة، وكانت جمجمته قد تهشمت نتيجة تلقيه ضربات من سلاح ثقيل، وكانت بندقية ابنه ملقاةً على العشب بجواره، وقد قُبض على ذلك الشاب، وتم تقديمه إلى محكمة روس يوم الأربعاء".

فقلت له: "تشير جميع الوقائع بأصابع الاتهام إلى الابن بالفعل".

فرد عليَّ هولمز، وهو يفكر تفكيرًا عميقًا: "ربما يكون هو القاتل، ولكن قد يكون هناك تأويل آخر؛ لأن العديد من الجيران يبرئون ساحة ابن السيد مكارثي, بمن فيهم ابنة مالك الأرض السيد جون تيرنر، وقد طلب هؤلاء الجيران مساعدة المفتش ليستراد على حل هذه القضية، ولكنه ترك القضية لي".

فقلت له: "مع ذلك، تدل كل الوقائع على أن الابن هو المذنب".

فرد عليه هولمز، ضاحكًا: ‘‘أحيانًا ما تكون الحقائق مضللة، بالإضافة إلى أنه قد يتم اكتشاف حقائق جديدة لم تكن موجودة من قبل. إن هذا الابن الشاب يستحق فرصة للدفاع عن نفسه، إذا كان بريئًا كما يدعي’’.

فقلت: ‘‘وما الذي يدعيه؟’’.

فأجابني هولمز، وهو يسلمني نسخة من صحيفة هيرفوردشاير، قائلًا: ‘‘اقرأها بنفسك’’، فقرأتها، وورد فيها على لسان جيمس مكارثي الآتي:

‘‘لقد كنت خارج البيت ثلاثة أيام قضيتها في بريستول، ولم أعد إلا يوم الاثنين، الذي يوافق الثالث من الشهر، وكان والدي خارج البيت في روس، وقد عاد بعد الظهر، ولكنه سرعان ما انصرف دون أن يتحدث مع أحد على الإطلاق، وليست لديَّ أدنى فكرة عن المكان الذي ذهب إليه، وبعدها أخذت بندقيتي وتوجهت صوب بحيرة بوسكومب كي أصطاد بعض الأرانب، ولم تكن لديَّ أدنى فكرة أن والدي سبقني إلى هناك، وفي أثناء الطريق رأيت الحارس وليام كراودر، وبعد ذلك سمعت صوتًا يقول



‘كو إي’، وكانت إشارة معتادة بيني وبين والدي، فأسرعت إليه ووجدته يقف إلى جوار البحيرة، فكان مندهشًا لرؤيتي، وسألني في قسوة عمَّا كنت أفعله هناك”.

وتابع قائلًا: “كان والدي حاد الطباع، فتناقشنا بصوت مرتفع، ولكنني عندما شعرت بالإهانة تركته، وذهبت عائدًا إلى المزرعة، وبمجرد أن سرت نحو مائة وأربعين مترًا سمعت صرخة ألم عالية مفزعة، فعدت مسرعًا، فوجدت

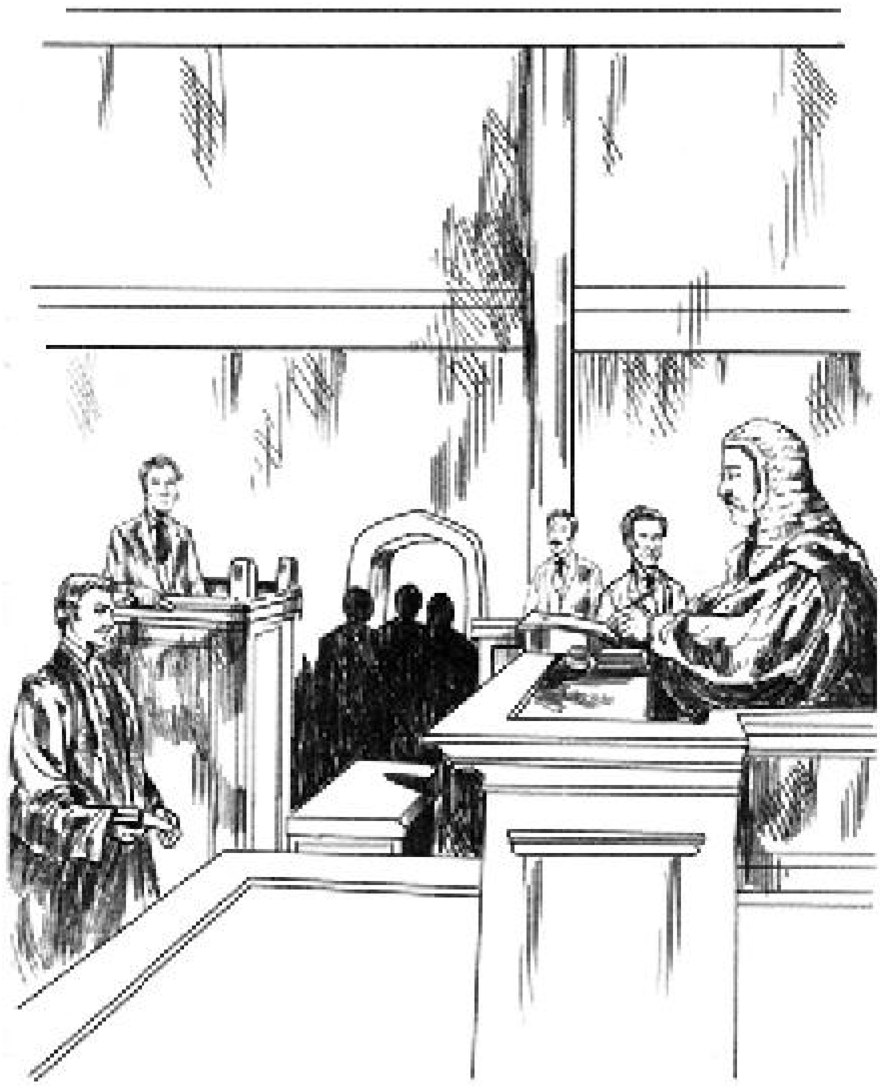
أبي مستلقيًا على الأرض، وقد لحقت برأسه إصابة بالغة، فرميت بندقيتي وحملته بين ذراعيَّ، ولكنه كان قد فارق الحياة, ثم توجهت بعدها إلى كوخ السيد تيرنر طالبًا العون منه".

فقال القاضي: "هل قال والدك أي شيء قبل أن يموت؟".

أجاب الشاهد (الابن): "لقد تمتم بشيء ما، ولكن كل ما سمعته كان كلمة رات".

قال القاضي: "وما الذي يعنيه هذا؟".

فأجاب الشاهد: "لا أعرف".



فسأله القاضي: "لماذا تعاركت مع والدك، إذن؟".

(لم يجب الشاهد)

فقال القاضي: "أحتاج إلى جواب".

فقال الشاهد: "لا يمكنني إخبارك؛ لأن الأمر ليست له علاقة بالمأساة التي حدثت".

فقال القاضي: ”هذا ما ستقرره المحكمة، وإذا لم تجب عن هذا السؤال، فإنك ستعاقب أشد العقاب“.

حينئذٍ قال الشاهد: ”لا أزال أرفض الإجابة“.

فقال القاضي: ”إذن، لماذا تَلَفَّظ بإشارتكما اللفظية المعتادة قبل أن يراك، وقبل أن يدرك أنك قد رجعت من بريستول؟“.

فأجاب الشاهد: ”ليست لديَّ أدنى فكرة عن هذا“.

حينئذٍ قال أحد المحلفين: ”هل رأيت شيئًا عندما وجدت والدك مصابًا“.

فقال الشاهد: ”لقد كنت مضطربًا للغاية، حتى إنني لم أقوَ على التفكير في أي شيء آخر، سوى والدي، ومع ذلك عندما جريت إلى الأمام أعتقد أنني لاحظت شيئًا ما ملقى على الأرض على يساري، وكان معطفًا رمادي اللون من نوع معين، ولكنه اختفى عندما هممت بالقيام من جوار والدي“.

فقال القاضي: ”هل اختفى قبل ذهابك إلى طلب المساعدة؟“.

فأجاب الشاهد: ”نعم كان قد اختفى“.

فسأل القاضي: ”كم كان يبعد عن جثة أبيك؟“.

فأجاب الشاهد: ”قرابة عشرة أمتار“.

فعاود القاضي السؤال مجددًا: ”كم كان يبعد عن حافة الغابات؟“.

فقال الشاهد: ”المسافة نفسها“.

حينئذٍ قال القاضي: ”إذا كان هناك أحد قد أخذه، فإن هذا يعني حدوث ذلك في الوقت الذي كنت تبعد فيه عنه عشرة أمتار“.

فقال الشاهد: ”نعم، ولكنني كنت أدير إليه ظهري“.

قلت لهولمز: ”حسنًا، أرى أن القاضي كان قاسيًا على جيمس مكارثي“ ما أثار ضحك هولمز، فقال: ”لا بد لنا أن نتحقق من صحة ما قاله للقاضي“.

وصلنا إلى روس في نحو الساعة الرابعة، وكان في استقبالنا المفتش ليستراد من سكوتلاند يارد، وأوصلنا إلى فندق هيرفورد أرمز، وقد حجز لنا مسبقًا غرفة به، وبينما كنا نتكلم ونحن نحتسي الشاي، دخلت علينا امرأة شابة جميلة ذات عينين بنفسجيتين، وشعر بني مجعد.

وعندما رأتني قالت بانفعال: "يا إلهي! السيد هولمز، إنني سعيدة بوصولك إلى هنا، ولكنني أتيت إليك لأخبرك بشيء واحد فحسب! إن جيمس لم يرتكب تلك الجريمة! لأنني أعرفه منذ أن كان طفلًا، وهو شخص لطيف جدًّا، ولا يمكن أن يُقدم على مثل هذه الأمور".

فرد عليها السيد هولمز قائلًا: "أتمنى أن نبرئه من هذه التهمة يا آنسة تيرنر، ولا بد أن أبذل كل ما في وُسعي من أجل ذلك".

حينئذٍ انطلقت الشابة قائلة: "أنا متأكدة من براءة جيمس، وإنني متأكدة كذلك من أن شجار جيمس مع والده كان بسببي".

فسألها هولمز على الفور: "كيف ذلك يا آنسة تيرنر؟".

عندئذٍ أوضحت قائلة: "السيد مكارثي أراد من ابنه جيمس أن يتزوجني، ولكن جيمس رفض؛ لأن كلًّا منا أحب الآخر منذ الصغر حبًّا أخويًّا، بالإضافة إلى أنه لم يكن مستعدًّا للزواج، فنشبت على أثر هذا العديد من المشاجرات، وإنني متأكدة أن آخر شجار بينه وبين والده كان عن الموضوع نفسه".

فسألها هولمز قائلًا: "وماذا عن والدكِ؟".

فردت عليه قائلة: "لقد كان ضد هذا الزواج أيضًا، ولم يرغب أي شخص منا في هذا الزواج سوى السيد مكارثي".

فسألها هولمز قائلًا: "هل يمكنني رؤية والدكِ، إذا زرتكم غدًا يا آنسة تيرنر؟".



فردت عليه قائلة: ''أخشى ألا يكون على ما يُرام؛ فإن والدي المسكين لم يستطع أن يتحمل هذه الحادثة المأساوية؛ لأن السيد مكارثي كان الشخص الوحيد الذي يعرفه والدي هنا، منذ تلك الأيام التي قضياها معًا في أستراليا''.

فقال لها هولمز: ''شكرًا آنسة تيرنر, لقد قدمتِ إليَّ مساعدة كبيرة''.

فقالت له: ''لا بد أن أعود إلى منزلي الآن؛ لأن والدي مريض للغاية، فليعنك الله على هذا! إلى اللقاء يا سيد هولمز''، ثم خرجت من الغرفة مسرعة

بالطريقة التي دخلت بها.

وبعدما تناولت طعام الغداء، انتظرت في الفندق بينما ذهب هولمز وليستراد إلى زيارة السجن لمقابلة جيمس مكارثي، وكان الوقت متأخرًا عندما عادا من هناك.

وحينها سألتُ هولمز قائلًا: "ما الذي عرفته من جيمس مكارثي؟".

فرد عليَّ هولمز قائلًا: "لا شيء يا عزيزي واطسون".

فسألته متعجبًا: "لا شيء؟".

فرد عليَّ قائلًا: "لم أستفد منه شيئًا على الإطلاق؛ لأنه كان مضطربًا مثل الجميع".

فقلت له: "حتمًا، لا بد أن يكون مضطربًا، وإلا فكيف يرفض الزواج بامرأة حسناء مثل الآنسة تيرنر؟".



‘‘نعم، تلك قصة حزينة بالفعل يا واطسون؛ لأن ذلك الشاب كان غارقًا في حبه للآنسة تيرنر منذ عامين فقط، ولكنها ذهبت

إلى مدرسة داخلية، فلم يستطع ذلك الشاب الأحمق أن ينتظر رجوعها؛ لذا تزوج بخادمة في بريستول، ولم يخبر أحدًا بهذه الزيجة، ولهذا السبب تحديدًا كان يرفض زواجه بالآنسة تيرنر عندما كان والده يعرض عليه هذا الأمر، وكان قد قضى تلك الأيام الثلاثة في بريستول معها دون أن يُعلِم أباه بمكانه، ولكنَّ هناك شيئًا طيبًا قد ظهر من بين ثنايا تلك الأحداث، فلقد

كتبت إليه زوجته عندما سمعت بأمر القبض عليه، بأنها متزوجة برجل يعمل في بيرمودا دوكيارد؛ لذا فهما من الناحية الشرعية غير متزوجين، وأعتقد أن هذا الأمر يجعل السيد جيمس مكارثي رجلًا سعيدًا''.

ولكنني تساءلت: ''ولكن مَن يكون المذنب إن لم يكن جيمس؟''.

فرد عليَّ هولمز قائلًا: ''لهذا السبب نحن هنا لنكشف هوية القاتل''.

وقد وصل ليستراد في تمام الساعة التاسعة في الصباح التالي، وعندئذٍ انطلقنا ذاهبين في الحال إلى مزرعة هاثرلي وبحيرة بوسكومب.

فسأل هولمز: ''كم عمر السيد تيرنر؟''.

فرد عليه ليستراد: ''إنه في الستين من عمره، وقد اعتلَّت صحته منذ بعض الوقت، وكان للمأساة تأثير سلبي فيه؛ لأنه كان صديقًا قديمًا للسيد مكارثي، فلقد سمعت أنه أجَّر مزرعة هاثرلي إلى السيد مكارثي دون مقابل''.

فتعجب هولمز قائلًا: ''حقًّا، إن هذا أمر مثير!''.

فقال له ليستراد: ''نعم، فدائمًا ما كان يساعد تيرنر مكارثي، والجميع هنا يعرف ذلك''.

وصلنا إلى مزرعة هاثرلي في نصف ساعة، وكانت مزرعة كبيرة مكونة من طابقين ذوي سقف مصنوع من صخر الإردواز، وحينها طلب هولمز من الخادمة أن تأتي بالحذاء الذي كان يرتديه السيد مكارثي وقت وقوع الجريمة، كما طلب منها أن تحضر زوجًا من الأحذية التي تخص جيمس مكارثي غير التي ارتداها في أثناء وقوع الجريمة، وقد فحصها هولمز بعناية، ثم توجهنا إلى بحيرة بوسكومب.

وقد تفحص هولمز المنطقة كلها بعناية، وكان وجهه موجهًا إلى أسفل، وكانت كتفاه متقوستين، ثم أخذ يتتبع في صمت وبسرعة الطريق الممتد في الغابات، الذي قاده إلى بحيرة بوسكومب، وكانت الأرض رطبة، فامتلأ الطريق والعشب بآثار الأقدام، وقد مشينا أنا وليستراد خلف هولمز, بينما

كان أحيانًا يندفع بسرعة إلى الأمام، وأحيانًا أخرى يقف فجأة، فكان يتصرف كالكلب الذي يشم بأنفه الروائح المميزة.

وتقع بحيرة بوسكومب على الحد الذي يفصل بين مزرعة هاثرلي وحديقة السيد تيرنر الخاصة، وقد قام هولمز بفحص المكان الذي وُجدت فيه الجثة بعناية فائقة، ثم أوضح قائلًا بعد أن فحص الأرض بعدسته: "إن تلك الآثار هي آثار قدمي جيمس مكارثي، لقد مشى على هذه الأرض مرتين وجرى بسرعة مرة واحدة، أترى نعل حذائه هنا مغروسًا بعمق, لدرجة أنك لا تستطيع رؤية كعبه، وذلك يثبت أن قصته كانت صحيحة، وأنه بريء من التهمة المنسوبة إليه، وهنا تجد آثار قدمي والده، بينما كان يمشي ذهابًا وإيابًا"، ثم أضاف في دهشة: "ولكن ما هذا؟ ما الذي يوجد لدينا هنا؟".

قال هولمز: "توجد هنا آثار أقدام مربعة غريبة! إنها آثار أقدام غريبة للغاية، إن الآثار تأتي, ثم تذهب, ثم تعود ثانية، وبالطبع فقد عادت حتى تأخذ المعطف، ولكن من أين أتت تلك الآثار؟".



جرى هولمز إلى الأمام حتى وصل بالقرب من شجرة زان كبيرة، وانتظر هناك مدة طويلة يدرس أوراق الأشجار وعيدانها الجافة، وقد فحص بعدساته الأرض ولحاء الأشجار، ومن ثم التقط فجأة حجرًا حادًّا، وفحصه، ثم تعقب الأثر على الطريق الذي يقود نحو الغابة، حتى وصل إلى الطريق الرئيسي، وعندها ضاعت آثار الأقدام، واستمر هولمز في حمل الحجر حتى بعدما غادرنا ذلك المكان.

ثم علق هولمز قائلًا: ‘‘قد يثير هذا الأمر اهتمامك يا ليستراد؛ فهذا الحجر هو سلاح الجريمة’’.

فرد عليه سائلًا: ‘‘كيف عرفت ذلك؟’’.

قال له هولمز: ‘‘حسنًا، هناك عشب ينمو من تحته، إذن فإن مكانه ليس هنا، وإنما وضع هنا منذ عدة أيام فحسب، كما لا توجد أية علامة على وجود أي سلاح آخر للجريمة’’.

ولكن ليستراد سأله: ‘‘وماذا عن القاتل؟’’.

فأجابه هولمز: ‘‘إنه رجل طويل، أعسر، يعرج برجله اليمنى، ويرتدي حذاء صيد سميك النعل، ومعطفًا رمادي اللون، كما كان يحب تدخين التبغ الهندي، ويستخدم مبسمًا’’.



فضحك ليستراد، وقال له: ‘‘ليست لديك أية أدلة على هذا’’.

فرد عليه هولمز بهدوء قائلًا: ‘‘سوف نرى’’. ظل هولمز هادئًا عندما تناولنا طعام الغداء في الفندق، ولكن بعدما تناولنا طعام العشاء، انطلق قائلًا: ‘‘حسنًا، إن مكارثي والد جيمس صاح قائلًا ‘كو إي’ قبل أن يراه، كما تمتم بكلمة ‘رات’ قُبيْل أن يلقى حتفه؛ لذا فإن تلك الصيحة لم تكن من أجل ابنه؛ لأن الأب كان يظن أن ابنه لا يزال في بريستول، وإنما أراد بها شخصًا آخر، كان من المقدر له أن يلتقي به؛ لأن ‘كو إي’ هي صيحة أسترالية مميزة، يستخدمها الأستراليون باعتبارها وسيلة للتواصل فيما بينهم، لذا بات جليًا أن مكارثي كان سيلتقي بشخص ما من أستراليا’’.

فسأله: ‘‘ولكن ماذا عن كلمة ‘رات’؟’’.

حينها أخرج هولمز من جيبه ورقة مطوية، وبسطها على الطاولة، وقال وهو يضع إصبعه على جزء من الخريطة: ‘‘هذه خريطة لمستعمرة فيكتوريا الأسترالية، فما الذي يمكنك قراءته هنا؟’’.



فصحت أنا وليستراد متعجبين في آن واحد: ‘‘بالارات!’’.

فقال هولمز: "بالضبط، كانت تلك هي الكلمة التي كان يقولها، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولكن ابنه لم يلتقط منها سوى المقطع الأخير، فقد كان مكارثي يحاول أن ينطق باسم القاتل، وإن ذلك القاتل من مدينة بالارات".

فصحت قائلًا: "مذهل!".

حينئذٍ قال هولمز بشكل قاطع: "إذن, فإن القاتل هو شخص أسترالي الجنسية من مدينة بالارات، ويرتدي معطفًا رماديًا، كما أنه قد أتى إلى البحيرة من أحد المنزلين".

فقلت له: "ولكن كيف عرفت شخصية القاتل؟".

رد عليه موضحًا: "تعرف أساليبي يا واطسون في التحليل، فقد عرفت طوله من طول خطوته، والضغط الذي كان يبذله على قدمه اليسرى أشد من الضغط المبذول على قدمه اليمنى؛ ما يعني أنه كان أعرج".

وسأله واطسون مرة أخرى قائلًا: "وكيف عرفت أنه كان أعسر؟".

فانطلق هولمز موضحًا: "لقد ضرب القتيل ضربة من الخلف ومن الجهة اليسرى، ولا يمكن لأحد أن يفعل هذا إلا رجلًا أعسر، كما كان يقف خلف تلك الشجرة طوال الوقت الذي كان فيه مكارثي



وابنه يتشاجران، كما كان يدخن التبغ الهندي فترة انتظاره، حيث وجدت آثار رماد سجائره، كما اكتشفت كذلك عقب سيجارته حيث رماه هناك، ووجدته وأنا أبحث عن الأدلة، إنه سيجار هندي".

فسأله واطسون قائلًا: "وماذا عن المبسم؟".

رد عليه هولمز قائلًا: "حسنًا، إن نهاية السيجار لم تكن قد وضعت في فمه؛ لذا كان من الطبيعي أن أكتشف أنه استخدم مبسمًا".

فصاح واطسون قائلًا: "لقد أنقذت رجلًا بريئًا يا هولمز؛ لأن القاتل لن يكون سوى ...".

عندئذ صاح نادل الفندق وهو يقدم زائرًا إليهم قائلًا: "السيد جون تيرنر مقبل يا سيدي".

كان الرجل الذي دخل عليهم أعرج، وبكتفين مقوستين، ولكن ملامحه الحادة، وأطرافه القوية، دلت على أنه قوي البنيان، وعلى الرغم من أن وجهه كان مفعمًا بالحيوية، لكن شفتيه كانتا شاحبتين، وقد بدا عليه المرض.

قال هولمز له في لطف: "تفضل بالجلوس يا سيد تيرنر، هل تلقيت خطابي؟".

فرد عليه تيرنر قائلًا: "أجل، فقد أحضره لي الحارس. وعرفت أنك تود رؤيتي، أليس كذلك؟".

فانطلق هولمز بثقة قائلًا: "نعم، إنني أعرف كل شيء عما حدث لـ مكارثي".

فصاح العجوز قائلًا: "إذن، فلينقذني الله! ولتعلم يا هولمز إنني لم أرد أن أؤذي جيمس مكارثي على الإطلاق".

فرد عليه هولمز قائلًا: "إنني سعيد لسماع ذلك منك".

فقال له العجوز: "لقد كنت على وشك إخبار الجميع بالحقيقة، ولكنني لم أفعل ذلك؛ لأن ابنتي ستعاني الأمَرَّينِ إن عرفت الحقيقة، وسينفطر قلبها إذا تم القبض عليَّ".

فرد عليه هولمز: "قد لا يتطور الأمر إلى هذه الدرجة".

فصاح العجوز مندهشًا: "ماذا؟ وكيف ذلك؟".

فرد عليه هولمز قائلًا: "أنا لست محققًا من الشرطة، وقد أتيت إلى هنا بناء على طلب ابنتك، ومع ذلك فإنني أؤمن بأن الرجل البريء لا يستحق الإعدام شنقًا".

حينئذ رد عليه العجوز قائلًا: ”إنني على مشارف الموت، وقد أصبت بمرض السكري وأعانيه منذ عدة أعوام، ولن أصمد أمامه طويلًا، ولكنني أريد أن أقضي آخر أيامي في بيتي لا في السجن“.

وعندئذٍ طلب هولمز من السيد تيرنر أن يخبرنا بالحقيقة قائلًا: ”لا بد أن أكتب وقائع القضية، وعليك أن توقع على أقوالك وسيشهد عليك واطسون؛ لأنني سأستخدم تلك العريضة لأنقذ بها ذلك الشاب مكارثي، ولكنني أعدك بألا أستخدمها إلا إذا كنت محتاجًا إليها“.

فقال له الرجل العجوز: ”إذن، فسأخبرك بكل شيء. إن السيد مكارثي القتيل كان شيطانًا متجسدًا في صورة إنسان، بدأ الأمر عندما التقيته للمرة الأولى في أوائل فترة الستينات من القرن الماضي في المناجم، وقد كنت حينها شابًّا طائشًا، وكنت مستعدًّا لخوض أي شيء؛ حتى وقعت في صحبة سيئة، كما شاركت في عمليات النهب التي تحدث على الطرق السريعة“.

واسترسل قائلًا: ”كنا ستة في العصابة، واتخذت لي اسمًا آخر غير اسمي الحقيقي، وهو بلاك جاك من بالارات، ولا يمكن للناس أن ينسوا عصابة بالارات؛ حيث قمنا في أحد الأيام بالهجوم على شاحنة تحمل الذهب، كانت آتية من ملبورن، وذاهبة إلى بالارات، وتعاركنا نحن الستة مع الحراس الستة، وكانت لنا الغلبة؛ لأننا كنا الأقوى، ولكن ثلاثة من رجالنا قُتلوا في النهاية, وبعدها وجهت مسدسي نحو رأس سائق الشاحنة الذي لم يكن سوى مكارثي، وأتمنى لو كنت قتلته حينها؛ لأنني تركته لحال سبيله آنذاك“.



أكمل قائلًا: ‘‘وهربنا بالذهب المسروق وصرنا أغنياء، وقد عدنا إلى إنجلترا دون أن يشك فينا أي أحد، وقمت بشراء هذا العقار، كما قمت ببعض الاستثمارات، وقد تزوجت، ولكن زوجتي تُوفيت وهي في ريعان شبابها، وتركت لي بنتًا اسمها أَلِيس، فكرست حياتي كلها لتربية تلك الفتاة الصغيرة، ولكن حياتي انقلبت رأسًا على عقب عندما ظهر مكارثي فجأة في حياتي’’.

أردف قائلًا: "تقابلنا ذات يوم مصادفةً، وطلب مني أن أشتري له مكانًا يسكن فيه هو وابنه، وهددني بالذهاب إلى الشرطة إن لم أفعل ذلك، لذا جاء للعيش معنا هو وابنه، ومنذ ذلك الحين لم أذق للسلام طعمًا، فكنت أرى وجهه الشرير في أي مكان أذهب إليه، وقد صار الأمر صعبًا عندما كبرت ألِيس، وعرف حينها أنني كنت خائفًا من أن تعرف ابنتي ألِيس ماضيَّ الإجرامي أكثر من الشرطة، فحصل على كل ما يريده مني من مال وأرض ومنازل. وذات يوم، طلب مني ألِيس! أراد أن يزوجها ابنه حتى يغدو قادرًا على انتزاع كل ملكيتي، فرفضت طلبه على الرغم من أن جيمس كان فتى طيبًا".



وتابع قائلًا: "ومن بعدها صار ذلك الشيطان مكارثي يهددني، وقد أخبرته بأن يفعل ما يحلو له، وقررنا بعدها أن نلتقي عند البحيرة لنسوي بعض الأمور في ذلك اليوم، ورأيته يتحدث مع ابنه عندما وصلت، لذا انتظرت حتى انصرف ولده وصار بمفرده، ولكنني كنت قد استشطت غضبًا عندما سمعت حديثه مع ولده، حيث كان يرغمه على الزواج من ابنتي أَلِيس, ففكرت في قتله".

“لذا قتلته يا سيد هولمز، وسأفعلها مرارًا إذا أُضطررت إلى ذلك، ولكن صوت صياحه هو ما أعاد جيمس مرة أخرى إلى الحديقة، ولكنني كنت قد اختبأت في الغابة، وقد وقع معطفي بينما كنت أفر هاربًا، فعدت من أجله، وهذه هي الحقيقة أيها السادة!”.

وقال هولمز بينما كان السيد تيرنر يوقِّع على أقواله: “لستُ الشخص المخول له الحكم عليك، ولكنني أتمنى ألا يواجه أي شخص ما واجهته”.

وحينها سأله تيرنر قائلًا: “ما الذي تنوي فعله الآن يا سيد هولمز؟”.

فرد عليه هولمز قائلًا: “نظرًا إلى ما تمر به من وعكة صحية، فلن أفعل أي شيء! وسأحافظ على اعترافك، ولن أدفع به إلى المحكمة إلا إذا كنت مضطرًّا إلى ذلك، إذا ما حُكم على جيمس



مكارثي بأنه هو المذنب". وأكمل قائلًا: "وإن لم يحدث ذلك، فإن سرك سيظل مدفونًا معنا بغض النظر عما إذا كنتَ حيًّا أم ميتًا".

وحينها شكره العجوز بامتنان وودعه وانصرف وهو يعرج.

وبعدها همس هولمز قائلًا: "فليساعدني الرب!".

وبعد ذلك بفترة قصيرة صدر حكم المحكمة ببراءة جيمس من التهمة المنسوبة إليه، بفضل الدفاع الذي قام به الرجل الذي يُدعى شيرلوك هولمز، وقد عاش السيد تيرنر سبعة أشهر أخرى منذ لقائنا به، ولكن المنية قد وافته الآن، ومن المحتمل أن تتزوج ابنته بجيمس مكارثي قريبًا، وكلاهما لا يعلم على الإطلاق بجرائم أبويهما السابقة.

٥. قضية هوية



خاطبني صديقي شيرلوك هولمز ذات يوم في بيته الكائن بشارع بيكر، قائلًا: "الحقيقة أغرب من الخيال يا صديقي، فعندما نبحر في عقول الآخرين، ونحاول معرفة ما في داخلها، ندرك كم تكون القصص الخيالية مملة، وكم تكون الحياة الواقعية ساحرة وجميلة".

فأجبته قائلًا: "لا أتفق معك يا هولمز، فإن التقارير التي تتسلمها من الشرطة بما فيها من واقعية لا يوجد فيها أي شيء ساحر أو جميل".

ولكن هولمز أصر على رأيه، قائلًا: "إذا فهمت العقل البشري الذي يهتم بالتفصيلات التي لم ترد في تلك التقارير، فإنك ستدرك معنى تلك الكلمات"، ولكنني هززت رأسي مصرًّا على



رأيي، حتى هب هولمز واقفًا بشكل مفاجئ، ونظر من النافذة، وعندما نظرت من فوق كتفيه، رأيت امرأة ممتلئة الجسم على الرصيف المقابل، كانت ترتدي وشاحًا مكسوًّا بالفراء حول عنقها، وقبعة كبيرة فوق رأسها تميزها ريشة حمراء، وأخذت تنظر بقلق إلى نافذتنا، ثم راحت تغدو ذهابًا وإيابًا، بينما تلعب بقفازها، ثم عبرت الشارع بسرعة شديدة، وسمعنا بعدها قرع الجرس الحاد.

وحينها انطلق هولمز قائلًا: "لقد رأيت مثل هذه العلامات من قبل؛ لأن مثل هذا التردد على الرصيف دائمًا ما نفهم منه أن الأمر يتعلق بالحب، وقد أتت تطلب منا النصيحة؛ لأنها تشعر بالحيرة والحزن أكثر من شعورها بالغضب".

وكان هناك طرق على الباب، ودخل الخادم ليعلن قدوم الآنسة ماري سذرلاند. كانت الآنسة تقف خلفه، فرحب بها هولمز، وطلب منها الجلوس، وسألها: "ألا تجدين أنه من الصعب عليك القيام بالكثير من أعمال الكتابة على الرغم من إصابتك بقصر النظر؟".



فردت عليه قائلة: “كان الأمر صعبًا في البداية، ولكنني الآن قد حفظت أماكن الحروف دون النظر إليها”.

ثم باغتت صديقي بنظرة تنم عن اندهاش كبير، وصاحت متعجبة: “كيف لك أن تعرف كل هذه المعلومات عني يا سيد هولمز”، فرد عليها هولمز ضاحكًا: “لا تشغلي بالك بهذا الأمر، فربما يمكنني رؤية أشياء لا يراها الآخرون، وإن لم يكن الأمر كذلك، فلماذا أتيتِ تطلبين استشارتي؟”.

فردت عليه قائلة: "أتيتُ لأنني سمعت براعتك الفائقة في حل القضايا يا سيدي، فساعدني أرجوك يا سيد هولمز، فإنني لست غنية، ولكنني أكتسب بعض المال من مهنة الكتابة على الآلة الكاتبة، وسأدفع لك كل ما أملك نظير أن تساعدني على اكتشاف ما حدث للسيد هوسمر إينجل".

فسألها هولمز: "ولكن لماذا أتيتِ على عجلة من أمرك؟".

وأثار هذا الأمر دهشة الآنسة سذرلاند مرة أخرى، فردت عليه قائلة: "أتيتُ مسرعة؛ لأنني كنت غاضبة من أبي السيد وينديبانك الذي لم يرغب في الذهاب إلى الشرطة أو إليك، وأثار هذا الأمر غضبي، حتى إنني تركته، وأتيت إليك على الفور".



فقال لها هولمز: ‘‘لا بد من أنَّ مَن تصفينه بأبيك هو زوج أمك بالتأكيد؛ فهذا واضح من تباين اسميكما’’.

فردت عليه قائلة: ‘‘نعم، ومع ذلك أناديه بأبي، على الرغم من أنه يكبرني بخمسة أعوام وشهرين فحسب’’.

فسألها هولمز: ‘‘هل ما زالت والدتكِ على قيد الحياة؟’’.

فردت عليه قائلة: ‘‘نعم يا سيد هولمز، وكم شعرت بالحزن والأسى عندما اختارت أمي أن تتزوج ثانية، بعد موت والدي مباشرة، كما حزنت أيضًا لأنها تزوجت برجل يصغرها بخمس عشرة سنة، وكان والدي يعمل عامل صيانة في إحدى شركات الغاز، وكان لديه عمل تجاري خاص به في شارع توتنهام كورت، وقد ترك إدارته لأمي بعدما توفي، ولكن السيد وينديبانك أرغمها على التخلي عن هذا المشروع وبيعه؛ فقد كان لديه نشاط تجاري كبير يجني منه أموالًا طائلة’’.

فسألها هولمز: ‘‘وهل تعتمدين في دخلكِ على ما تجنينه من هذا العمل فحسب؟’’.

فأجابته قائلة: ‘‘لا، فعمي السيد نيد من مدينة أوكلاند قد ترك لي ثروة قدرها ألفان وخمسمائة جنيه، ومع ذلك لا يمكنني الاستفادة إلا من عوائد هذا المبلغ فحسب’’.



وعندئذٍ قال هولمز: "أعتقد أن أية امرأة يمكن أن تعيش بشكل جيد بستين جنيهًا في الشهر فحسب، لا بد من أنك تستمتعين بالحياة وتدللين نفسك بهذا المبلغ".

فردت عليه قائلة: "يمكنني العيش بمبلغ أقل من هذا كثيرًا يا سيد هولمز، ولكنني لا أحب أن أمثل عبئًا عليهما بينما أعيش في منزلهما؛ لذا فإن السيد ويندیبانك يسحب العائد الخاص بي كل ثلاثة أشهر، ويعطي والدتي إياه فيعيشان عليه، وأعيش أنا على ما أكسبه من وظيفة الكتابة على الآلة الكاتبة، وهو ما يقدر بنحو ثلاثين إلى أربعين بنسًا تقريبًا في اليوم".

وحينها قال لها هولمز: "أخبرينا المزيد من التفاصيل عن السيد هوسمر إينجل من فضلك"، فتضرج وجهها خجلًا، وأخذت تلعب بمنديلها في توتر وعصبية، وقالت: "تقابلنا للمرة الأولى في حفلة رابطة العاملين في صيانة الغاز؛ لأنهم اعتادوا إرسال تذاكر الحفل إلى والدي عندما كان حيًّا، وبعدما تُوفي كانوا يرسلونها إلى والدتي، وبعد ذلك عارض السيد وينديبانك فكرة ذهابنا إلى الحفل، وكان يكره خروجنا من البيت إلى أي مكان، ولكنني اتخذت قراري بالذهاب إلى أي مكان أريده، فهو لا يملك الحق في منعى من ذلك، وقد ذهب في اجتماع عمل في فرنسا عندما أدرك أنه لا يمكنه منعي مما أريد القيام به؛ لذا ذهبت أنا ووالدتي إلى ذلك الحفل، حيث قابلت السيد هوسمر إينجل".



فسألها هولمز: ‘‘هل كان السيد ويندیبانك غاضبًا من حضوركما الحفل عندما عاد بعد ذلك؟’’.

فردت عليه قائلة: ‘‘لم يكن غاضبًا تمامًا، ولم يفعل أي شيء، لكنه ضحك وهز كتفيه بلا مبالاة’’.

سألها هولمز: ‘‘ماذا حدث في الحفل؟’’.

فقالت: "بعدما تقابلت مع هوسمر في تلك الليلة، اتصل بنا صباح اليوم التالي ليتأكد من وصولنا بسلام، وقد تقابلنا مرتين بعدها، ولكنه توقف عن زيارة منزلنا عندما عاد والدي إلى المنزل".

فسألها هولمز قائلًا: "لماذا فعل ذلك؟".

أجابته قائلة: "لم يحب والدي مجيء الزوَّار إلى منزلنا؛ لأنه كان يقول إن المرأة لا بد أن تستقر في بيتها وتتعامل مع أفراد عائلتها فقط، ولكنني أعتقد كما أخبرت أمي, بأن المرأة لا بد من أن تكون لها دائرة معارف خاصة بها، لكنني لم أحظَ بذلك".

وسألها هولمز ثانية: "ولكن ألم يحاول السيد إينجل مقابلتكِ؟".

فردت عليه قائلة: "حسنًا، لقد كتب إليَّ هوسمر وأخبرني بأنه من الأفضل والآمن لنا أن نتقابل بعدما يسافر والدي مرة أخرى إلى فرنسا بعد أسبوع، وقد تواصلنا معًا عن طريق إرسال الخطابات؛ فكان يكتب لي خطابًا كل يوم، وقد كنت أتسلم الخطابات يوميًّا في وقت مبكر قبل أن يلاحظها أبي".



فسألها هولمز قائلًا: ‘‘هل تقدم السيد إينجل لخطبتكِ؟’’.

فقالت: ‘‘نعم يا سيد هولمز، لقد تقدم لخطبتي بعد أول مرة تقابلنا فيها معًا’’.

فسألها هولمز: ‘‘أين كان يعمل؟’’.

قالت: ‘‘لقد كان يعمل صرافًا في مكتب بشارع ليدنهول’’.

فسألها هولمز: " في أي مكتب بالتحديد؟".

فردت عليه قائلة: "لا أعرف يا سيد هولمز، وهذا هو أسوأ شيء على الإطلاق".

حينئذٍ سألها هولمز: "ألديكِ أية فكرة عن المكان الذي يقطن به؟".

فأجابته: "لقد قال إنه ينام في المكتب".

فسألها هولمز: "إذن، ما العنوان الذي كنت ترسلين إليه خطاباتكِ؟".

قالت: "كنت أرسل خطاباتي إلى مكتب البريد في شارع ليدنهول؛ فقد قال لي إن أصدقاءه في العمل سوف يسخرون منه لتلقيه خطابات من سيدة؛ لذا أخبرته بأنه يمكنني أن أكتبها له على الآلة الكاتبة، ولكنه رغب في أن أكتب تلك الخطابات له بخط يدي، وقال إنه لا يريد أن تتوسط آلة فيما بيننا، وقد كان



مغرمًا بي يا سيد هولمز، كما كان يشغل باله على الدوام بشأن التفاصيل الصغيرة".

فقال السيد هولمز: "بالطبع، لأنني أؤمن بأن تلك التفاصيل الصغيرة هي أكثر الأشياء أهمية، فهل تتذكرين أية تفاصيل صغيرة عن السيد إينجل؟".

فردت عليه قائلة: "كان رجلًا خجولًا، لقد كان يفضل أن يخرج معي في المساء، بدلًا من أن نخرج في وضح النهار فنلفت إلينا الأنظار، وكان رجلًا لطيفًا، كما كان صوته رقيقًا وضعيفًا؛ وقال لي إن ذلك بسبب معاناته وهو

صغير من التهاب في الغدة، لذا كان يتكلم هامسًا كما كان أنيقًا على الدوام، وقد كان نظره ضعيفًا مثلي، ولهذا السبب كان يرتدي نظارة داكنة".

وعندئذٍ سألها هولمز قائلًا: "وماذا حدث بعدما ذهب زوج أمكِ إلى فرنسا مرة أخرى؟".

فأجابته قائلة: "عاد هوسمر إلى زيارة منزلنا، وتقدم لي، وأراد أن نتزوج قبل عودة أبي، وطلب مني أن أعده بأنني سأكون مخلصة له على الدوام بغض النظر عما سيحدث، وقد أحبت أمي هوسمر أيضًا، وعلى الرغم من أنني كنت أريد إخبار أبي لدى عودته على الفور، فإن أمي أخبرتني بأنه يمكننا إخباره لاحقًا، وأخبرتني بأن علينا أن نتزوج، ولكن لم يعجبني ذلك، حيث لا أحب أن أفعل أي شيء في حياتي في الخفاء؛ لذا كتبت خطابًا إلى



والدي في فرنسا، ولكن الخطاب أُعيد إليَّ مرة أخرى صبيحة يوم الزفاف''.

فسألها هولمز قائلًا: ''إذن، فهذا يعني أن الخطاب لم يصل إلى والدكِ؟''.

فأجابته قائلة: ''نعم لم يصل؛ لأنه قد بدأ رحلته إلى إنجلترا قبل وصول الخطاب مباشرة''.

فسألها هولمز: ''يا له من حظ سيئ، وهل احتفلتِ بعقد قرانكِ؟''.

فردت عليه قائلة: ''نعم، لقد جاء هوسمر في عربة، ولكنها كانت لا تسع سوى اثنين فحسب؛ لذلك ركبنا فيها أنا وأمي واستقل هوسمر عربة بمفرده

حتى يصل إلى مكان زفافنا، ولكننا وصلنا قبله، وبمجرد أن وصلت العربة الخاصة به لم يخرج منها على الإطلاق، وحينها تفقد السائق العربة فلم يجد بها أي شخص. لقد اختفى هوسمر! ولقد حدث ذلك يوم الجمعة الماضي، ولم أتلقَّ منه أي شيء بعدها".

فقال لها هولمز: "يبدو لي أنكِ قد عوملتِ بطريقة مشينة".

فقال: "أوه، لا يا سيدي، لا تقل ذلك، فقد كان عطوفًا وطيبًا، ولا يمكن أن يتركني بهذه الطريقة. ففي صبيحة يوم الزواج أخبرني بأنه إذا فرَّق بيننا أي شيء، فلا ينبغي عليَّ أن أفقد الأمل، وبأنه سيعود إليَّ؛ لذا يجب عليَّ أن أخلص له! كان الأمر بأكمله يبدو غريبًا في وقتها، ولكنني أدرك الآن ما كان يقصده".



فسألها هولمز: ‘‘أتعتقدين أن شيئًا غير متوقع قد حدث له؟’’.

فأجابته: ‘‘نعم، أعتقد أنه كان لديه شعور بأن شيئًا خطيرًا سيحدث له؛ لأنه لم يتكلم بهذه الطريقة من قبل’’.

فسألها هولمز: ‘‘أليست لديك أية فكرة عن نوع الخطر الذي كان يشعر بأنه يحيق به؟’’.

فقالت: "لا أعرف".

فسألها هولمز: "ماذا قالت والدتكِ عن هذا الأمر؟".

قالت: "استشاطت غضبًا، وأمرتني بألا أتكلم عنه بعد ذلك".

فسألها هولمز: "هل أخبرتِ والدكِ؟".

فردت عليه وقد شرعت في البكاء: "نعم، لقد اعتقد أن شيئًا ما قد حدث لـ هوسمر أيضًا، ولكنه كان متأكدًا أنني سأتصل به ثانية، فكيف يمكن لرجل أن يعد امرأة بالزواج ثم يختفي يوم الزفاف على أية حال؟ بالإضافة إلى أن هوسمر كان مستقلًّا ماديًّا، ولم ينظر إلى أموالي مطلقًا، ولم يأخذ أي نقود مني".



وحينها وعدها هولمز قائلًا: "سأساعدكِ يا سيدة سذرلاند، وعليك الآن ألا تفكري في السيد هوسمر على الإطلاق".

فسألته: "هل سأراه ثانية؟".

فأجابها: "لا أظن أن ذلك سيحدث".

فسألته: "أوه، ما الذي حدث له؟".

فرد عليها: ‘‘اتركي لي إجابة هذا السؤال، أيمكنك أن تصفيه لي من فضلك؟’’.

قالت: ‘‘إليك نص الإعلان الذي كتبته في صحيفة كرونيكل يوم السبت، وإليك أربعة خطابات تسلمتها منه’’.

فقال لها: ‘‘شكرًا لكِ، ما عنوانكِ من فضلك؟’’.

أجابته: ‘‘٣١ شارع ليون بليس، كامبرويل’’.

فسألها: ‘‘ما عنوان مكتب أبيكِ؟’’.

فردت عليه قائلة: ‘‘يعمل مندوب مبيعات لدى شركة ويست هاوس، وشركة ماربانك في شارع فنتشيرش’’.

قال لها هولمز وهو يجمع الأوراق: ‘‘تذكري نصيحتي، وانسي كل ما حدث، ولا تتركي هذه الحادثة الغريبة تؤثر في حياتك!’’.

فقالت له: ‘‘لقد أثلجت كلماتك صدري يا سيد هولمز، ولكنني سأظل مخلصة للسيد هوسمر، وسأنتظره’’.

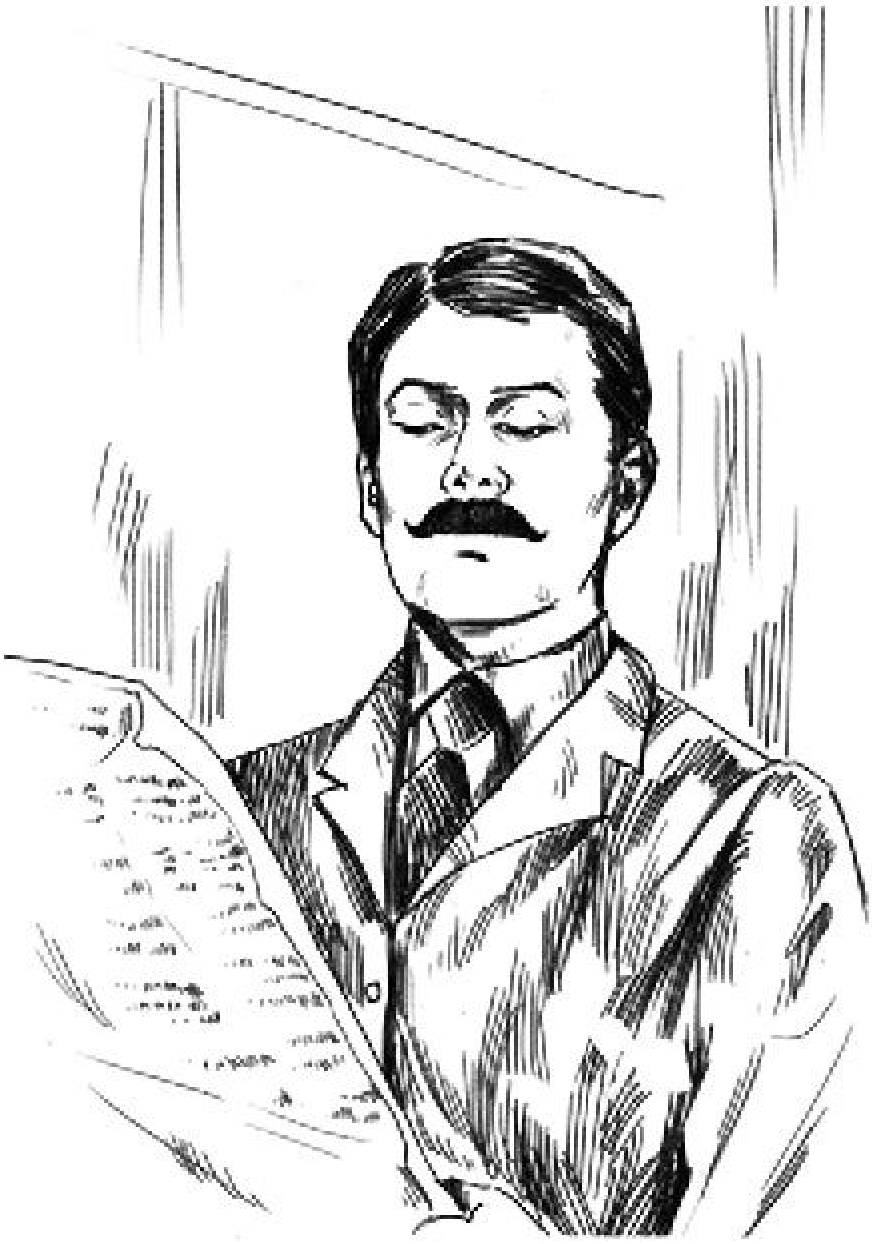


لقد احترمناها على بساطتها، وغادرت بعد أن وعدتنا بأنها ستعود إذا طلبنا منها المجيء، وبعدها جلس هولمز في صمت تام لبعض الوقت وقد أغمض عينيه، ثم قال: "إن تلك الفتاة مثيرة للاهتمام أكثر من قضيتها".

فقلت: "لا بد من أنك قد رأيت في وجهها شيئًا لم أره".

فقال له هولمز: ‘‘عليك أن تعرف أين تنظر يا عزيزي واطسون، وعليك أن تنظر إلى كل شيء بما في ذلك الأكمام، أو أظافر اليد، أو رباط الحذاء إن كنت تريد أن تكتشف الحلقة المفقودة، والآن أخبرني بما لاحظته بخصوص تلك الآنسة؟’’.

فذكرتُ أنها كانت ترتدي قبعة كبيرة مصنوعة من القش مميزة بريشة حمراء، كما كانت ترتدي سترة سوداء مطرزة بالخرز الأسود، وكانت ترتدي فستانًا بنيًا مميزًا بحلية قطيفة بنفسجية اللون على الرقبة والأكمام، وكذلك كانت ترتدي قفازين بلون رمادي باهت، وكان القفاز الأيمن ممزقًا من عند إصبع السبابة، كما كانت ترتدي قرطًا ذهبيًا صغيرًا، وعندئذٍ رد عليه هولمز مبتسمًا: ‘‘أحسنت قولًا يا واطسون، إنك تلاحظ الألوان بدقة، ولكن التفاصيل الباقية هي كل ما يهم إلى حد كبير. فعادة ما أنظرإلى أكمام الفستان الذي ترتديه المرأة أولًا، أما



الرجل فأول ما أنظر إليه بالطبع هو ركبة بنطاله، فالحلية القطيفة التي كانت موجودة على أكمامها مفيدة للغاية في تتبع الآثار، فهل لاحظت الخط المزدوج الذي كان موجودًا أعلى معصمها بقليل؟ فقد يكون نتيجة استنادها إلى الطاولة في أثناء استخدامها الآلة الكاتبة، وعلى الرغم من أن آلة الخياطة تترك علامة مشابهة، فإن العلامة التي تتركها لا تكون إلا على اليد اليسرى، كما لاحظت وجود علامة عميقة على جانبي أنفها أيضًا، وهذا

يدل على أنها ترتدي نظارات بسبب قصر نظرها، أما حذاؤها فيدل على أنها أتت على عجلة من أمرها؛ لأن إحدى الفردتين لم تكن مربوطة إلا بزرين سفليين من خمسة أزرار، وكانت الفردة الثانية مربوطة بالأزرار الأول والثالث والخامس".

سألت هولمز في إعجاب: "هل لاحظت أي شيء آخر؟".

فرد عليّ قائلًا: "نعم، استنتجت أنها كتبت خطابًا قبل أن تغادر بيتها مباشرة، ولكنها قد كتبت ذلك الخطاب بعد أن ارتدت ملابسها؛ وذلك لأن كلًّا من قفازها وإصبعها كانا ملطخين بالحبر الأزرق، حيث وضعت القلم في الحبر بعمق؛ لأنها كانت في عجلة من أمرها، وكانت العلامة واضحة وحديثة؛ لأنها كانت في الصباح. ولكن دعنا نبدأ عملنا، فلتقرأ عليّ الإعلان يا واطسون!".



فقرأت عليه الآتي: "فُقد، منذ صباح يوم الرابع عشر من الشهر الجاري، رجل يُدعى هوسمر إينجل، ويبلغ طوله نحو متر وسبعين سنتيمترًا، وهو قوي البنيان شاحب البشرة بشعر أسود، أصلع من المنتصف، وبشارب أسود، وكان يرتدي نظارة داكنة، ويعاني مشكلة خفيفة في الكلام، وظهر آخر مرة بمعطف أسود طويل وصدرية سوداء مرتديًا ساعة جيب ذهبية بسلسلة، وبنطالًا رمادي اللون، وحذاء بنيًّا، وكان يعمل موظفًا في مكتب يقع في شارع ليدنهول، فأي شخص يحضر أي…".

وعندئذٍ أمرني هولمز قائلًا: ''توقف عن القراءة، فإن الخطابات لا تقدم أي دليل أيضًا مثل هذا الإعلان''.

فصحت متعجبًا: ''ولماذا كُتبت تلك الخطابات على الآلة الكاتبة، على الرغم من أن إينجل لم يرد ذلك منذ البداية؟''.

عندئذٍ رد عليَّ هولمز قائلًا: ''أنت محق، حتى التوقيع مطبوع على الآلة الكاتبة أيضًا، وهناك تاريخ، ولكن لا يوجد عنوان''.

فسألته قائلًا: ''ما الذي يجب علينا فعله الآن؟''.

فقال هولمز: ''عليَّ أن أكتب خطابين الآن، وسيكون الأول إلى شركة في المدينة، أما الثاني فسيكون إلى زوج أم تلك الآنسة نطلب منه أن يأتي إلينا هنا في تمام الساعة السادسة مساء الغد''.



وبعدها تركت هولمز وحيدًا وعدت اليوم التالي في تمام الساعة السادسة بالضبط.

وسألته: "هل وجدت حلًّا للقضية؟"، وحينها سمعنا وقع أقدام ثقيلة تأتي في الممر، ثم سمعنا طرقًا على الباب.

فقال هولمز على الفور: "لا بد أن يكون هذا هو السيد ويندیبانك، فقد رد عليَّ بخطاب، قائلًا إنه سيكون هنا في تمام السادسة، تفضل بالدخول!".

كان الرجل الذي دخل علينا قوي البنية، في الثلاثين من عمره، وكان حليق الذقن، شاحب البشرة، ذا عينين رماديتين حادتين، وقد نظر إلينا نظرة متسائلة، وهو يهم بالجلوس، فقال له هولمز: ‘‘مساء الخير يا سيد جيمس وينديبانك، أظن أن هذا الخطاب المطبوع على الآلة الكاتبة هو منك، وهو يؤكد مجيئك إلى موعد اليوم في تمام الساعة السادسة، أليس كذلك؟’’.

فأجابه قائلًا: ‘‘أجل يا سيدي، وآسف على الإزعاج الذي سببته لك الآنسة سذرلاند بقضية بسيطة كتلك، لأنني قد قلت لها ألا تأتي إليك، ولكنها ضربت بنصيحتي عرض الحائط، فمن غير الممكن بكل بساطة أن نجد هوسمر إينجل’’.

فرد عليه هولمز بهدوء قائلًا: ‘‘ولكنني قد وجدت بالفعل هوسمر إينجل’’، فتعجب السيد ويندبيانك بشدة، وسقط قفازاه من يده من الدهشة، ولكن هولمز تابع كلامه قائلًا: «لا يمكن لآلتين كاتبتين أن تكتبا بالطريقة ذاتها إلا إذا كانتا جديدتين بالطبع، والآن يا سيد ويندبيانك يوجد في خطابك المكتوب خطأ مطبعي في كتابة حرف الياء، كما أن ذيل حرف الراء غير مكتمل، وهناك أربعة عشر حرفًا مميزًا، ولكن هذين الحرفين بطبيعة الحال هما أكثر الحروف وضوحًا وملاحظة».



وحينئذٍ رد علينا الزائر قائلًا: "نستخدم هذه الآلة في كتابة كل الخطابات في مكتبنا، وهي قديمة ومعيبة بعض الشيء".

فرد عليه هولمز قائلًا: "لديَّ أربعة خطابات من السيد إينجل يا سيد ويندیبانك، ويُعد هذا الجزء مشوقًا! لأن كل تلك الخطابات التي كتبها السيد إينجل ليس فيها الخطأ المطبعي الصغير فوق حرف الياء، وذيل حرف الراء غير المكتمل فحسب، بل يوجد كذلك الأربعة عشر حرفًا المميزة التي تطابق الحروف التي توجد في خطابك".

وعندئذٍ هب الزائر واقفًا، وأمسك بقبعته قائلًا: ''ليس عندي وقت أضيعه في مثل هذه التحليلات الخاطئة يا سيد هولمز، فإذا كان بمقدورك إيجاد الرجل، فافعلها، وأخبرني إذا فعلتها''.



فرد عليه هولمز: ''لقد وجدت الرجل بالفعل''، وعندئذٍ صاح السيد ويندیبانك وقد شحب وجهه، قائلًا: ''ماذا؟''، فتابع هولمز كلامه قائلًا: ''نعم وجدته. والآن اجلس، ودعنا نتحدث!''.

فسقط الرجل حينها على الكرسي، وهو يتصبب عرقًا، وقال: ‘‘إنها ليست جريمة تستوجب العقاب!’’.

فرد عليه هولمز: ‘‘أخشى أن تكون كذلك يا سيد ويندبيانك؛ لأنها كانت خدعة شريرة وقاسية ورخيصة وتنم عن قلب متحجر!’’.

وقد وضع هولمز قدميه على الطاولة، بينما كان يجلس الزائر على مقعده مصدومًا، وتابع هولمز حديثه قائلًا: ‘‘لقد تزوج هذا الرجل من امرأة تكبره سنًا سعيًا وراء مالها فحسب، وسمح لنفسه بأخذ الأرباح الخاصة بابنتها أيضًا، ولم يرغب في زواج الابنة؛ لأن هذا يعني خسارته ذلك الدخل الذي كان يبلغ مائة جنيه إسترليني في السنة؛ لذا أمرها بالبقاء في المنزل وعدم تكوين أية صداقات، ولكن الفتاة رفضت الاستماع إلى زوج أمها، فما الذي يفعله زوج الأم المخادع حينها؟ انتحل بنفسه وبمساعدة زوجته شخصية السيد هوسمر إينجل’’.

وعندئذٍ صاح الزائر، قائلًا: ‘‘لقد كانت مزحة في بداية الأمر، ولم نعتقد أنها ستقع في حبه بهذه الطريقة’’.



فرد عليه هولمز قائلًا: "نعم، ولكن الآنسة كانت تأخذ الأمر بجدية؛ لأن ذلك السيد قد استحوذ على انتباهها، وقد شجعتها والدتها، ومن ثم قام السيد إينجل بزيارة ثم تلاها بعدة زيارات، وأخيرًا قام بخطبتها، ولكن الكذب لم يصمد للنهاية، حيث كان تنظيم الرحلات المزيفة إلى فرنسا أمرًا صعبًا لا تستطيع تحقيقه طوال الوقت؛ لذا حاولت التوصل إلى قرار مؤثر، من شأنه أن يترك أثرًا كبيرًا في نفس الفتاة، ويجعلها لا تفكر في أي رجل آخر على

الإطلاق بعد ذلك؛ لذا فقد وعدتها بالزواج، كما أخذت منها وعدًا بانتظار السيد إينجل، أليس هذا صحيحًا يا سيد ويندیبانك؟".

وحينها استعاد زائرنا ثقته بنفسه، وهب واقفًا وقد رُسمت على شفتيه ابتسامة المحتال، ثم قال: "قد يكون ما تقوله صحيحًا، وقد يكون خطأً يا سيد هولمز، ولكنني لم أنتهك أية قوانين".

فرد عليه هولمز قائلًا: "نعم، لا يمكن للقانون أن يلاحقك، ولكنك تستحق الجزاء الأوفى, وإن كان لتلك الآنسة الشابة أخ أو صديق، فلم يكن ليتركك على قيد الحياة، وإنني عادة لا أفعل ذلك الأمر، ولكنَّ لديَّ سوطًا قويًّا هنا الآن"، وانطلق هولمز حتى يلتقط سوطه بسرعة شديدة، ولكنه قبل أن يلتقطه، شرع السيد ويندیبانك



في الجري، وخرج إلى الشارع في لحظة، وحينها صاح هولمز متعجبًا، وهو يلقي بنفسه على الكرسي قائلًا: ‘‘يا له من رجل شرير! فهو يستحق أن يذهب إلى السجن في يوم ما’’.

فسألته بلطف قائلًا: ‘‘ولكنني لا أعرف كيف اكتشفت أنه منتحل وكذاب’’، فرد عليَّ هولمز: ‘‘لقد كنت أشك في الأمر منذ البداية يا واطسون؛ حيث إن هوسمر إينجل كان شخصًا غريبًا، وكان من الواضح أن تلك النظارة الداكنة

التي يرتديها كانت تخفي شيئًا وراءها، وأن ذلك الشارب كان مزيفًا، كما أن إينجل لم يتقابل مع زوج الأم على الإطلاق، حيث يظهر أحدهما ويختفي الآخر، ولقد أكد شكوكي بتصرفه الغريب عندما طبع توقيع السيد إينجل؛ الأمر الذي بيَّن خوفه من أن تلك الآنسة الشابة بإمكانها أن تتعرف على خطه".

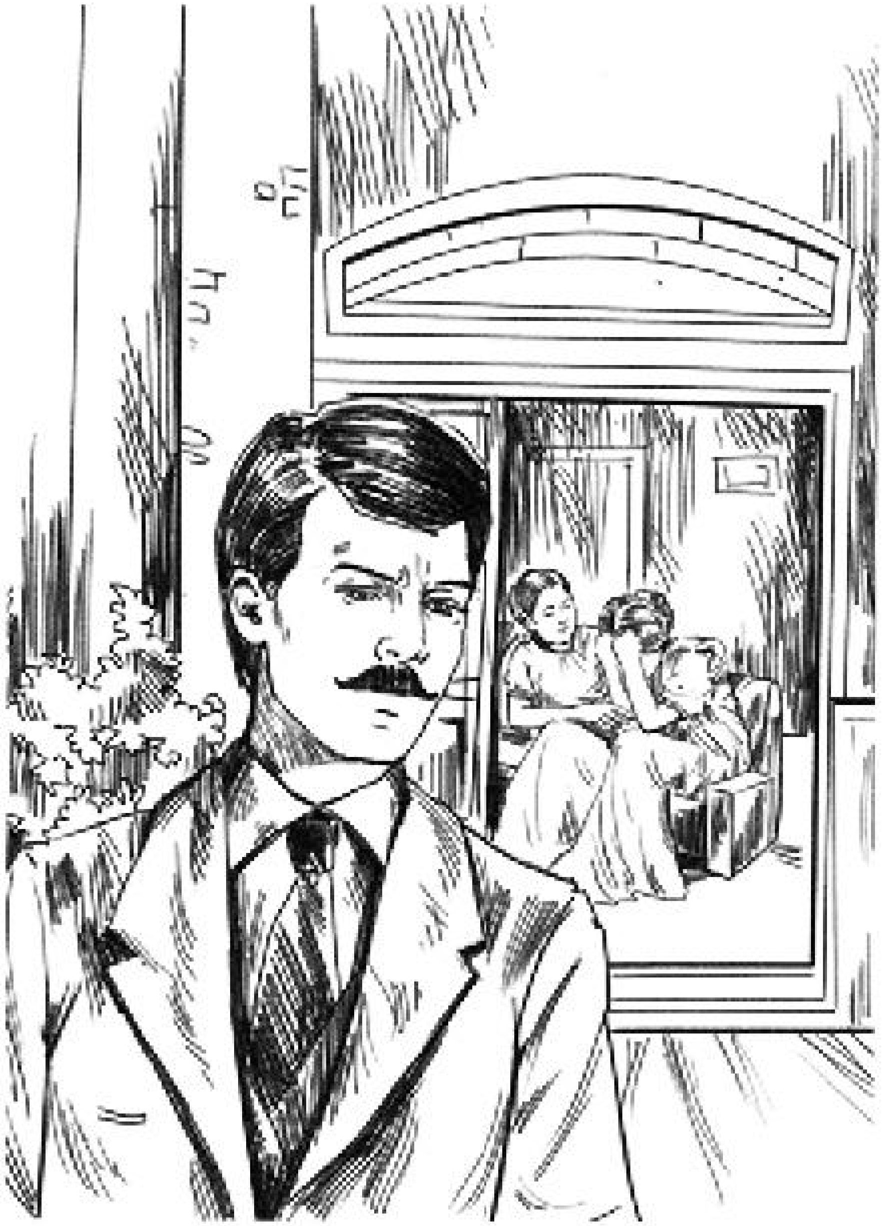
فسألته قائلًا: "ولكن كيف تأكدت من ذلك؟".

فرد عليَّ هولمز: "إنني أعرف الشركة التي كان من المفترض أنه يعمل بها، واستعلمت في تلك الشركة إن كان لديها موظف اسمه هوسمر إينجل، وذكرت أوصافه دون الأشياء التي يتنكر بها، مثل النظارات وطريقة كلامه وشاربه، وقد أكدت الشركة أن ذلك الوصف ينطبق على موظفها السيد وينديبانك، وحينها أرسلت إليه خطابًا على العنوان الذي يعمل به أطلب منه أن يأتي لزيارتي، وكما توقعت تلقيت خطابه مطبوعًا على الآلة الكاتبة، وكانت توجد به العيوب نفسها التي كانت توجد في خطابات السيد إينجل".



فسألته قائلًا: ‘‘وماذا عن الآنسة سذرلاند؟’’.

فرد عليه هولمز قائلًا: ‘‘إنها لن تصدقني إذا أخبرتها بحقيقة الأمر يا واطسون؛ إنها تثق بعائلتها ثقة عمياء!’’.



٦. الرجل ذو الشفة الملتوية



في وقت متأخر من إحدى ليالي شهر يونيو لعام ١٨٨٩، ذهبت لأبحث عن مريضي إيسا ويتني، وكانت زوجته كيت ويتني قد وصلت إلى منزلنا منذ دقائق معدودة، وأخذت تبكي على كتف زوجتي، وكانت مذعورة إلى حد كبير؛ حيث إن إيسا لم يعد إلى المنزل منذ يومين، وكان زوجها قد سافر

إلى شرق المدينة، حتى يحصل على جرعته من الأفيون كعادته السيئة، وكانت كيت واثقة بأنها ستستطيع أن تجد إيسا في مقهى جولد الذي يقع في آخر شارع سواندام لين، لكنها لا تستطيع أن تذهب إلى هذا المكان وحدها، فأمرتها بالذهاب إلى المنزل، بينما أذهب أنا وأبحث عن إيسا.

كان شارع سواندام لين ينتهي بممر قذر ومظلم يؤدي إلى شرق جسر لندن، وقد رأيت ذلك المقهى الحقير الذي يجلس فيه، فقد كان مقهى صغيرًا قذرًا ذا إضاءة خافتة، فأمرت سائق السيارة الأجرة بأن ينتظرني في الخارج، ودخلت إلى غرفة طويلة منخفضة كانت تمتلئ بدخان الأفيون البني الكريه، ورأيت أشخاصًا يرقدون في أوضاع غريبة وعجيبة؛ رأيت أذقانًا متجهة إلى أعلى، وأكتافًا مقوسة، وركبًا منحنية، ورءوسًا مائلة إلى الخلف، وكان القليل من الأشخاص الموجودين هناك هادئين، بينما كان الآخرون يتكلمون بصوت خفيض ثمل.

فطلبت من النادل أن ينادي على السيد إيسا ويتني، وفجأة صاح أحدهم عن يميني، ثم رأيت السيد ويتني شاحبًا وقذرًا!

صاح متعجبًا: "واطسون! كم الساعة الآن؟ وفي أي يوم نحن؟".

فأجبته: "إنها الحادية عشرة تقريبًا، ونحن في يوم الجمعة التاسع عشر من شهر يونيو".

فشرع ويتني يبكي بصوت عالٍ، وهو يقول: "يا إلهي! لقد اعتقدت أن اليوم هو يوم الأربعاء، بل إنه يوم الأربعاء بالفعل!".



فأجبته قائلًا: ‘‘إنه يوم الجمعة يا رجل، ولا بد من أن تخجل من نفسك؛ فزوجتك ما زالت تنتظرك منذ يومين’’.

فرد عليَّ ويتني قائلًا: ‘‘معك حق يا واطسون، ولكنك مخطئ لأنني هنا منذ ساعتين فحسب، وسأذهب إلى المنزل الآن معك لأنني لا أريد أن أخيف كيت الجميلة المسكينة أكثر من ذلك، ساعدني على أن أقف!’’.

سرنا متجهين إلى الخارج عبر تلك الغرفة، ومررنا برجل طويل يجلس في أقصى الغرفة، وعندها شعرت فجأة بشخص يجذبني من طرف معطفي،

ويهمس بصوت منخفض قائلًا: "تجاوزني، ثم انظر إلى الخلف نحوي".

فنظرت إلى أسفل نحو مصدر الصوت, فوجدت عجوزًا يحدق إليَّ، وكان رجلًا نحيفًا للغاية، وكان وجهه مليئًا بالتجاعيد، ويمسك بغليونه بين يديه، فتقدمت بعض الخطوات إلى الأمام، ثم عاودت النظر إلى الخلف، فتملكتني دهشة كبيرة؛ حيث أدار ذلك الرجل ظهره للآخرين بحيث لا يراه أحد غيري، وعندما تلاشت التجاعيد واستعادت عيناه الخاملتان تألقهما، وجدت أن من يجلس إلى جوار المدفأة، وهو يبتسم لردة فعلي هو شيرلوك هولمز.

فهمست قائلًا: "هولمز! بربك ما الذي تفعله هنا؟".



همس هولمز قائلًا: ‘‘أعد صديقك النائم إلى منزله يا واطسون، وحينها بإمكاننا أن نتحدث’’.

فقلت: ‘‘لديَّ عربة تنتظرني في الخارج’’.

فرد عليَّ هولمز قائلًا: ‘‘دع سائق العربة يقله إلى منزله، وابعث برسالة معه إلى زوجتك تخبرها فيها بأنك قد التقيت بي، ثم انتظرني في الخارج وسأكون عندك في غضون خمس دقائق’’.

كان من الصعب أن أرفض طلب رجل مثل شيرلوك هولمز، ففعلت ما طلبه، ومشيت في الشارع معه بعد وقت قليل، وقد مشى إلى جواري عبر شارعين، وهو يحني ظهره، ويجر قدميه، ويسير بخطوات غير ثابتة، ثم نظر إلى الوراء ونصب قامته، وانفجر في الضحك قائلًا: "لقد ظننتَ أنني أحد الأشخاص السيئين مدمني الأفيون أيضًا يا واطسون، أليس كذلك؟!".

فقلت له: "حسنًا، لا بد أن أعترف بأنني كنت مندهشًا حينما رأيتك هناك".

فقال له هولمز: "إنني أعمل على قضية صعبة، وأتيت إلى هنا كي أجد لها حلًّا، فبعض الأشياء الغريبة تحدث هنا في هذا المكان".

فسألته: "أهي جرائم قتل؟".



فرد عليَّ هولمز وهو يشير إلى إحدى العربات قائلًا: ''لا يا واطسون، دعني أعطك ملخصًا عنها ونحن في طريقنا إلى منزل السيد نيفيل سانت كلير الذي يقع في منطقة لي بمقاطعة كينت، ورغم أن تلك القضية تبدو قضية بسيطة، فإنني لا أستطيع حلها، وقد يمكنك مساعدتي على حلها''.

وبدأ هولمز يسرد قصته كالتالي: ''منذ عامين, وبالتحديد في شهر مايو عام ١٨٨٤، وصل رجل غني يُدعى نيفيل سانت كلير إلى منطقة لي،

واشترى منزلًا كبيرًا، وتزوج عام ١٨٨٧ من ابنة صاحب مقهى محلي، وأنجب منها طفلين، وعلى الرغم من أنه لم يكن يعمل بمهنة محددة، فإنه يمتلك العديد من الأسهم في بضع شركات، وكان يذهب إلى المدينة كل صباح، ويعود إلى منزله في المساء، وفي الوقت الحالي يبلغ السيد سانت كلير من العمر سبعة وثلاثين عامًا، وهو حسن الخلق، ومحبوب من كل أهل المدينة، كما كان زوجًا صالحًا وأبًا مسئولًا".

"وقد ذهب يوم الاثنين الماضي إلى المدينة كعادته، وكان قد وعد ابنه الصغير بأنه سيحضر له علبة من المكعبات، ولكنه بعدما غادر منزله, تسلمت زوجته برقية تفيد بأن هناك طردًا بريديًّا صغيرًا كانت تتوقع وصوله؛ وله قيمة كبيرة في انتظارها في مكتب شركة أبردين للشحن، ويقع المكتب الخاص بتلك الشركة



في شارع فرينسو، وهو الشارع الذي يتفرع من آخر شارع سواندام، وهو المكان الذي وجدتني فيه الليلة، وبعدما تسلمت الطرد، اتجهت السيدة سانت كلير إلى المحطة من خلال شارع سواندام، وكان ذلك في تمام الساعة الرابعة والنصف، عندما رأت زوجها ينظر إليها من نافذة في الطابق الثاني".

"فلوَّح لها، ثم انسحب إلى الخلف فجأة، وكأن شخصًا ما قام بجذبه، ولم يكن مرتديًا رابطة عنق ولا ياقة، وكان هذا يبدو غريبًا، وعندما تيقنت أن زوجها في ورطة، اندفعت تصعد السلم، ولكن المنزل كان هو وكر الأفيون البغيض نفسه الذي وجدتني فيه الليلة، وقد قابلها مالك المنزل لاسكار بنفسه على السلم، وقد دفع بها مرة أخرى إلى الشارع، وحينها انطلقَتْ مسرعة إلى الشرطة في شارع فرينسو، وعادت بصحبة مفتش ورجلين من رجال الشرطة".

"ومع أن لاسكار احتج على دخولهم، لكنهم دخلوا إلى الغرفة التي قالت الزوجة إنها رأت زوجها يطل من نافذتها، ولم يكن هناك أي شخص على الإطلاق سوى رجل أعرج أقسم هو ولاسكار أنه كان لا يوجد أي شخص آخر في الغرفة غيرهما وقت ما بعد الظهيرة، ولكن السيدة سانت كلير وجدت على الطاولة صندوقًا صغيرًا به مكعبات الأطفال، وكانت هي اللعبة نفسها التي وعد الأب بأنه سيحضرها لطفليهما".



"وبعدها فتشت الشرطة الغرفتين جيدًا، وكانت الغرفة الخلفية تطل على البحر، حيث كان هناك ممر ضيق يفصل البحر عن النافذة العريضة للغرفة، وكان ذلك الممر جافًّا عند انحسار المد، ولكنه كان يمتلئ بالماء بارتفاع مائة وثلاثة عشر سنتيمترًا عند ارتفاع المد، كما وجدت الشرطة كل الملابس الخاصة بالسيد سانت كلير خلف الستارة ما عدا معطفه، فلابد أنه قد خرج من النافذة في أثناء ارتفاع المد، ولا بد أن لاسكار والرجل الأعرج قد اشتركا في هذه الجريمة معًا".

"كان الرجل الأعرج يُدعى هيو بون، وهو يقيم في هذا الوكر البغيض، وعلى الأرجح أنه كان الشخص الأخير الذي رأى السيد سانت كلير حيًّا، وكان متسولًا محترفًا على الرغم من أنه كان يبيع علب الثقاب ليخدع الشرطة، وكان يجلس في شارع ثريدنيدل يحمل صندوقًا صغيرًا، ويتسول، وكان مميزًا بشعره الأحمر الغريب ووجهه المشوه بندبة فظيعة نتج عنها شفة علوية ملتوية".



فسألته قائلًا: "ولكن كيف لهذا الرجل الأعرج أن يؤذي شخصًا بكامل قوته؟".

فرد عليّ هولمز قائلًا: "على الرغم من أنه كان يعرج في مشيته، فإنه كان رجلًا قويًّا".

فسألته قائلًا: "ما الذي حدث بعد ذلك؟".

أجابني قائلًا: "لقد نجحت الشرطة في القبض على بون، ولكنه يدعي أنه لم يرَ السيد سانت كلير من قبل، كما يصر على أن السيدة سانت كلير قد أخطأت في اعتقادها، ولكن الشرطة قد وجدت المعطف الخاص بالسيد سانت كلير بعدما انتهى المد، كما وجدت مبلغًا يُقدر بـ ٤١٢ بنسًا ونحو ٢٧٠ من فئة نصف بنس في جيب المعطف".

فسألته قائلًا: "كيف يكون ذلك ممكنًا؟".

فرد عليّ قائلًا: "من المحتمل أن يكون بون قد دفع بالسيد سانت كلير خارج النافذة، وأدرك حينها أن عليه أن يتخلص من كامل ملابسه أيضًا، فوضع المال في جيب المعطف أملًا في أن يغوص المعطف في الماء، ولكنه لم يجد متسعًا من الوقت حتى يضع المال في بقية الملابس حتى تغوص في الماء؛ لأن السيدة سانت كلير كانت قد وصلت بصحبة الشرطة، ولكن الأسئلة التي



أريد جوابًا لها هي: ما الذي كان يفعله السيد نيفيل سانت كلير في هذا الوكر اللعين؟ وما الذي حدث له؟ وأين هو الآن؟ وما صلة هيو بون باختفائه أيضًا؟".

وصلنا إلى فيلا السيد سانت كلير في مقاطعة كينت، وحينما استقبلتنا السيدة سانت كلير، كان أول سؤال وجهته لهولمز: "أتعتقد أن نيفيل لا يزال حيًا يا سيد هولمز؟".

فرد عليها هولمز، وهو محرج من سؤالها قائلًا: "بصراحة لا أعتقد ذلك".

فسألته قائلة: "أتعتقد أنه قد مات؟".

فأجابها قائلًا: "نعم, أعتقد ذلك".

فعادت تسأله قائلة: "متى مات باعتقادك؟".

فرد عليها قائلًا: "لقد مات يوم الاثنين!".

فسألته قائلة: "هل من الممكن أن توضح لي يا سيد هولمز كيف تلقيتُ خطابًا منه اليوم على الرغم من أنه قد مات يوم الاثنين؟"، حينها هب هولمز واقفًا من مقعده، وسألها متعجبًا: "ماذا؟!". كانت السيدة تمسك بورقة صغيرة في يدها، وهي تبتسم، وكان الظرف خشنًا ومختومًا بختم مكتب بريد جرافسند بتاريخ اليوم نفسه.



وقد أبدى هولمز ملاحظته قائلًا: "أيًّا كان الشخص الذي كتب العنوان على الظرف، فلا بد أنه كان مضطرًّا إلى أن يسأل عن عنوانكِ".

فسألته قائلة: "وكيف وصلت إلى هذا الاستنتاج؟".

فرد عليها قائلًا: "إن الاسم مكتوب بحبر أسود واضح جف من تلقاء نفسه، ولكن باقي الكلام يظهر بخط رمادي؛ ما يدل على أن كاتب الخطاب قد استخدم ورقًا نشَّافًا؛ فلو أنه كتب الكلام كله مرة واحدة ثم نشفه ما كان هناك أي أثر للخط الأسود، وكان الكلام كله باللون الرمادي، وهذا يدل على

أن هذا الرجل قد كتب الاسم, ثم انتظر قليلًا قبل أن يكتب العنوان؛ ما يدل على أنه لم يكن يعرفه، فهل بإمكاني أن أرى الخطاب؟".

فقالت له السيدة سانت كلير: "إن خاتم الزواج الخاص بزوجي داخل الظرف".

فسألها هولمز قائلًا: "هل هذا الخط هو خط زوجكِ؟".

فأجابته قائلة: "نعم, هذا خطه عندما يكتب بسرعة".

فقرأ هولمز الخطاب كما يلي: "عزيزتي، لا تخافي، فإن كل شيء سيكون على ما يرام، وكان هناك خطأ فادح وسيستغرق وقتًا من أجل تصحيحه، اصبري وانتظري، زوجك نيفيل"، وحينها قال هولمز: "حسنًا، لقد اتضحت الأمور قليلًا، ولكن الخطر لم ينتهِ بعد".



فسألته قائلة: ‘‘ولكنه على قيد الحياة يا سيد هولمز، أليس كذلك؟!’’.

فأجابها قائلًا: ‘‘يبدو الأمر كذلك إلا إذا كان هذا الخطاب مزيفًا بمهارة، فالخاتم لا يدل على أي شيء؛ إذ ربما يكون قد أُخذ من زوجكِ، وهناك احتمالية أيضًا بأن هذا الخطاب قد كُتب قبل ذلك، وتم إرساله إلى البريد

اليوم، وإلا فلماذا يختبئ زوجكِ منكِ إذا كان على قيد الحياة على أية حال؟".

فردت عليه قائلة: "لا أدري".

فسألها قائلًا: "هل ذكر زوجكِ أمامكِ ولو مرة واحدة شارع سواندام لين؟".

فأجابته قائلة: "لا، لم يذكره على الإطلاق!".

ثم استأذنا السيدة في الانصراف، ووصلنا إلى منزلنا، وكنت في غاية التعب، فذهبت إلى النوم، ولكن هولمز ارتدى ثياب النوم، وجلس يفكر، ووجدته لا يزال جالسًا بهذه الطريقة عندما استيقظت في صباح اليوم التالي.

فسألني هولمز قائلًا: "هل أنت مستيقظ يا واطسون؟".

فقلت له: "نعم يا هولمز".

فقال لي: "إذن، هيا بنا نخرج من هنا".

كانت الساعة الرابعة والثلث عندما قال لي هولمز وهو يرتدي



حذاءه: “أرغب في اختبار نظرية بسيطة من نظرياتي؛ لأن تلك القضية هي من أغرب القضايا التي واجهتني على أية حال!”.

وصلنا إلى شارع بو حيث يوجد قسم الشرطة الذي كان بون قد أُحتجز فيه، وقابلنا المفتش برادستريت، فسأله هولمز: “لقد أتيت لأرى المتسول بون، هل هو هنا؟”.

فقادنا المفتش عبر ممر منحدر، وفتح لنا بابًا مزودًا بالقضبان الحديدية، وهبطنا الدرج اللولبي، وعندها قال المفتش: "الزنزانة الثالثة على اليمين يا سيدي"، وقد حدقنا إلى داخل الزنزانة، ورأينا السجين غارقًا في النوم، وكان رجلًا متوسط الحجم، يرتدي ملابس متسخة، فقال هولمز: "حسنًا، إنه حتمًا في حاجة إلى الاغتسال" وقد أخرج هولمز منشفة كبيرة من حقيبته؛ ما أثار دهشتي إلى حد بعيد.

فقال المفتش ضاحكًا: "أنت حقًّا رجل مضحك يا هولمز".

فرد عليه هولمز قائلًا: "حسنًا، سوف ننظفه إذا فتحت لنا الباب بهدوء"، وعندئذٍ أدخل المفتش مفاتيحه في الباب بهدوء، ودخلنا الزنزانة, وبلل هولمز المنشفة ومسح بها وجه السجين مرتين.

وعندئذٍ قال هولمز كأنه يقدم عرضًا على خشبة المسرح: "أيها السادة، اسمحوا لي بأن أقدم إليكم السيد نيفيل سانت كلير الذي يسكن بمقاطعة كينت".



وحينئذٍ رأيت أغرب منظر قد أراه في حياتي على الإطلاق! أصبح وجه الرجل نظيفًا تمامًا الآن، حيث اختفى ما كان يعتلي وجهه من لون بني، كما اختفت تلك الندبة التي كانت سببًا في التواء شفته العلوية. وشد هولمز شعره الأحمر، فانتبه ذلك الرجل وجلس، فكان وجهه شاحبًا وحزينًا، ولكنه كان حسن المظهر، وظهر شعره الأصلي الذي كان أسود اللون, كما كان جلده ناعمًا، ففرك الرجل عينيه في ذهول، ثم حاول أن يخبِّئ وجهه بوسادته.

قال المفتش على الفور في دهشة: “يا إلهي! لم أرَ شيئًا مثل هذا طوال خدمتي التي امتدت نحو سبعة وعشرين عامًا، إنه الرجل المفقود!”.

وعندئذٍ صاح الرجل قائلًا: “نعم، إنني نيفيل سانت كلير، ولكنني لم أرتكب أية جريمة”.

فرد عليه هولمز قائلًا: “لا لم ترتكب أية جريمة، ولكنك قد اقترفت خطأً، وكان بإمكانك أن تتصرف على نحو أفضل وتأتمن زوجتك على سرك!”.

فرد عليه الرجل قائلًا: “فعلت ذلك من أجل أطفالي! لم أرد لهم أن يشعروا بالخجل من أبيهم. يا إلهي! ماذا سأفعل الآن؟”.

فجلس هولمز بجوار الرجل وطمأنه، وربت كتفه برفق، وقال له: “لا يمكنك أن تتجنب فضح أمرك إذا أوصلت الأمور إلى



المحكمة لتبرئ ساحتك، ولكنك إذا أقنعت الشرطة ببراءتك، فإنني متأكد من أن المفتش برادستريت سيضمن لك أن القضية لن تصل إلى المحكمة على الإطلاق".

فصاح السجين قائلًا: "يا لك من رجل نبيل! أنت أول رجل أقص عليه قصتي هذه".

استرسل الرجل قائلًا: ‘‘لقد كان أبي يعمل ناظرًا لمدرسة في تشيسترفيلد, وقد تلقيت تعليمًا ممتازًا، وسافرتُ عندما كنت شابًّا، وتعلمت التمثيل، وأصبحت أخيرًا محررًا في إحدى الصحف المسائية في لندن. وذات يوم، طلب مني رئيس التحرير كتابة بعض المقالات عن المتسولين في المدن، وكانت هذه هي بداية مغامرتي، فقررت أن أكون متسولًا حتى أتعلم المزيد عن سر تلك المهنة، وبفضل مهارات التنكر التي كنت قد تعلمتها, قمت بطلاء وجهي، وصنعت تلك الندبة القبيحة، ولويت شفتي بشريط لاصق لونه مثل لون الجلد، ثم ارتديت شعرًا مستعارًا أحمر اللون وملابس متسخة، وجلست في الشارع أتظاهر بأنني أبيع علب الثقاب، ولكنني كنت في الحقيقة متسولًا’’.

واستطرد الرجل قائلًا: ‘‘لقد قمت بالتسول سبع ساعات، وذُهلت عندما كسبت ستة وعشرين جنيهًا، وبعدها كتبت المقالات التي كانت مطلوبة مني، ولم أشغل بالي بموضوع التسول’’. وأردف



قائلًا: ‘‘وبعد سنوات عديدة، كان عليَّ دين لم أستطع الوفاء به؛ فلم أكن أعلم من أين آتي بالمال لسداده، ثم خطرت ببالي فكرة التسول للحصول على المال المطلوب، وبعد عشرة أيام فحسب كنت قد اكتسبت المال الكافي الذي جعلني قادرًا على سداد ذلك الدين’’.

وتابع حديثه: ‘‘ومن ثم اعتقدت أنها الطريقة الأسهل في كسب المال، ولم يعرف بسري عندما بدأت التسول بشكل كامل غير رجل واحد، وهو لاسكار حارس الوكر اللعين، وقد اعتدت استخدام ذلك الوكر الذي يقع في شارع

سواندام في التنكر، وقد دفعت له مالًا كثيرًا مقابل استئجار غرفة في هذا المكان؛ لذا كنت أعرف أن سري سيظل بأمان معه، وبعدها بوقت قليل صرت أكسب الكثير من المال! عادة لا يجلب لك التسول هذا القدر الكبير من المال، ولكنني كنت موهوبًا، فمهارتي في التنكر جعلتني أبدو جديرًا بالشفقة إلى حد بعيد، حتى إن كل من كان يمر بي كان يعطيني المال".

وأضاف قائلًا: "وكلما كنت أجني المزيد من الأموال وتزداد ثروتي، يزداد طموحي، فاشتريت منزلًا كبيرًا في المدينة، وتزوجت، ولكن زوجتي لم تكن على علم بحقيقة أمري، ولكنها رأتني يوم الاثنين الماضي بالمصادفة في الشارع، وعندئذٍ ذهبت إلى لاسكار وأخبرته بأن يمنع أي شخص يأتي لمقابلتي، وكنت قد



تخلصت من ملابسي بسرعة وتنكرت في هيئة المتسول، حتى لا يعرفني أي شخص بمن في ذلك زوجتي العزيزة، ووضعت بعض النقود في جيب معطفي، وألقيت بها من النافذة، ولم أستطع أن أفعل الشيء نفسه مع باقي الملابس؛ لأن زوجتي كانت قد وصلت بصحبة رجال الشرطة، فأرسلت بخطاب إلى زوجتي أقول لها فيه إنني بخير، ودفعت به إلى لاسكار، حتى

يقوم بتوصيله، وكنت أعلم أنها ستكون قلقة وخائفة، وهذه هي كل الحقيقة!".

وحينها قال برادستريت وقد بدا جادًا: "لا بد من أن يتوقف هذا الأمر عند هذا الحد! ولا بد من أن يموت هيو بون، وعندها ستغلق الشرطة ملف تلك القضية".

فرد عليه السيد سانت كلير قائلا: "أعدك بهذا!".

وحينها صاح برادستريت في إعجاب قائلًا: "في هذه الحالة، يمكنك الذهاب يا سيدي، ولكن إذا تم القبض عليك مجددًا بتهمة التسول، فإن الحقيقة ستنكشف، وأشكرك على حل هذه القضية يا سيد هولمز على الرغم من أنني أتمنى أن أعرف كيف توصلت إلى هذه النتائج".

فرد عليه هولمز قائلًا: "لقد استطعت حل هذه القضية بالجلوس على خمس وسائد، وأعتقد يا واطسون أننا إذا انطلقنا عائدين في العربة الآن إلى شارع بيكر، فسنصل في الوقت المحدد لطعام الفطور".

٧. عصبة ذوي الشعر الأحمر



في يوم من أيام خريف العام الماضي، قمت بزيارة صديقي المخبر السري العظيم شيرلوك هولمز، وكان يتبادل الحديث مع رجل سمين، متورد الوجه، يغطي رأسه شعر أحمر لامع، وعندئذٍ قدمني هولمز إلى السيد ويلسون، وطلب منه أن يقص عليَّ قصته الغريبة، فهمَّ الزائر بإخراج صحيفة متسخة ومجعدة من جيبه، وبينما كان يبحث فيها عن عمود الإعلانات، أخذت أتفحصه عن قرب.

كان الرجل يشبه التجار الإنجليز التقليديين، وحيث كان سمينًا، متفاخرًا، كما كان بطيئًا، وكان يرتدي بنطالًا فضفاضًا رمادي اللون ذا مربعات، وسترة سوداء لم تكن مزررة من الأمام، وصدرية باهتة بها سلسلة نحاسية، تتدلى منها قطعة معدنية مربعة الشكل



كزينة، كما كان يرتدي قبعة قديمة، ومعطفًا بنيًّا باليًا، كان يضعه على الكرسي المجاور له، وكان هذا الرجل عاديًّا للغاية، ولا يوجد ما يميز

مظهره، إلا شعره الأحمر المتوهج.

فقال لي هولمز عندما لاحظ ما أنظر إليه: "لم أستطع يا واطسون أن أستنتج إلا الحقائق الأساسية، وهي أن ذلك الرجل كان قد مارس في بعض الوقت بعض الأعمال اليدوية، وأنه يدمن النشوق، وهو عضو في جماعة سرية، وقد سافر إلى الصين، وقام بالكثير من الأعمال الكتابية مؤخرًا".

فاندهش السيد جابز ويلسون، وصاح متعجبًا: "كيف عرفت بكل هذا يا سيد هولمز؟ إن الجزء الذي ذكرته بشأن العمل اليدوي صحيح؛ لأنني عملت نجارًا للسفن".

فرد عليه هولمز قائلًا: "إن يديك هما اللتان أخبرتاني بذلك، فيدك اليمنى أكبر حجمًا من اليسرى؛ ما يدل على أنك قد عملت بها أكثر من الأخرى، فنمت عضلاتها لتصبح أكبر من اليد الأخرى".

فسأله قائلًا: "وماذا عن النشوق، وانضمامي إلى إحدى الجماعات السرية؟".

فرد عليه هولمز قائلًا: "لقد بدا ذلك واضحًا من الشارة التي ترتديها على صدرك".



فسأله الزائر قائلًا: "يا إلهي، نعم! ولكن كيف عرفت بأمر قيامي بالأعمال الكتابية؟".

فرد عليه هولمز: "إن طرف كمك الأيمن يبدو لامعًا أكثر من طرف كمك الأيسر، وبه رقعة بالقرب من المرفق، فيبدو أنك ترتكز به على المكتب".

فسأله الزائر قائلًا: "وكيف عرفت بسفري إلى الصين؟".

فرد عليه هولمز قائلًا: ‘‘لقد عرفت ذلك من الرسمة الموجودة على رسغك الأيمن! فلا يمكن عمل ذلك النوع من الرسم إلا في الصين، كما قد لاحظت تلك العملة الصينية التي تتدلى من سلسلة الساعة؛ ما سهل عليَّ معرفة هذا الأمر’’.

فضحك ويلسون بصوتٍ عالٍ قائلًا: ‘‘يا إلهي! إن لديك مهارات فائقة’’.

فرد عليه هولمز قائلًا: ‘‘دعنا الآن نعُد إلى الإعلان يا سيد ويلسون!’’.

فقال ويلسون: ‘‘يا إلهي! نعم. إليك الإعلان!’’.

وكان نص الإعلان كما يلي: ‘‘إلى عصبة ذوي الشعر الأحمر: بناءً على وصية المليونير إزيكيا هوبكنز الذي كان يقطن في مقاطعة لبنان في بنسلفانيا بالولايات المتحدة- هناك وظيفة شاغرة لشخص واحد فقط، وعلى ذوي الشعر الأحمر ممن يبلغون من العمر ما يزيد على واحد وعشرين عامًا التوجه في تمام الساعة



الحادية عشرة يوم الاثنين بصفة شخصية إلى دونكان روس في المقر الخاص بالعصبة بالمبنى رقم ٧ بوبس كورت، شارع فليت، براتب يبلغ نحو ٤ جنيهات إسترلينية مقابل القيام ببعض الأعمال البسيطة، وعلى ذوي الشعر الأحمر ممن يتمتعون بسلامة الجسم والعقل التقدم إلى الوظيفة".

فصحت متعجبًا: "بربك ما الذي يعنيه هذا؟"، فضحك هولمز، وطلب من السيد ويلسون أن يقص عليه القصة كاملة، وطلب مني أن أدوِّن اسم

الجريدة وتاريخ العدد.

فدونته قائلًا: "صحيفة مورنينج كرونيكل بتاريخ السابع والعشرين من شهر أبريل عام ١٨٩٠، أي أن ذلك العدد صدر منذ شهرين".

وبدأ جابز ويلسون بعدها في سرد قصته الغريبة قائلًا: "أعمل سمسارًا، ولديَّ مكتب صغير في ميدان كوبورج، وأكتسب القدر الذي يكفيني من المال فحسب، ويمكنني تحمل دفع أجر مساعد واحد فقط، ولولا أنه قد قبل أن يتلقى نصف أتعابه حتى يتعلم أصول المهنة، ما كنت استطعت دفع راتبه هو الآخر".

فسأله هولمز قائلًا: "ما اسم ذلك الشاب؟".

فقال ويلسون: "إنه يدعى فينسنت سبولدنج, وهو ليس شابًا".



فقال له هولمز: ''إنك محظوظ لأنك وجدت مثل هذا المساعد؛ لأنه من الصعب أن تجد موظفًا يقبل بالعمل مقابل نصف أتعابه، وإنه لجدير بالملاحظة مثل إعلانك''.

فرد عليه ويلسون قائلًا: ''لديه بعض العيوب أيضًا يا سيد هولمز، فلم أرَ شخصًا من قبل مغرمًا بالتصوير الفوتوغرافي مثله؛ فهو يظل يلتقط الصور

معظم الوقت، ثم يسرع إلى القبو حتى يحمِّض تلك الصور، ولكنه يعمل بجد بعيدًا عن هذا العيب".

فسأله هولمز قائلًا: "هل ما زال يعمل لديك؟".

فرد عليه ويلسون قائلًا: "نعم يا سيدي، وإنني لديَّ أيضًا خادمة تبلغ من العمر أربعة عشر عامًا تقوم بأعمال الطبخ والتنظيف؛ حيث إنني أرمل، ولم أحظَ بعائلة قط كي أرعاها، وأعيش حياة بسيطة، ولكن ذلك الإعلان قد قلب حياتنا رأسًا على عقب؛ فقد أتى إليَّ سبولدنج بهذا الإعلان، يتمنى لو كان ذا شعر أحمر، حتى يجني ذلك المال الوفير مقابل هذا العمل البسيط".

واستطرد قائلًا: "وإنني لا أحب الخروج كثيرًا، ولا أعرف الكثير عن العالم الخارجي؛ لذا كنت مهتمًّا بالانضمام إلى عصبة ذوي الشعر الأحمر، كما أنني ظننت أن ذلك المال الإضافي سيكون سهلًا وفي متناول يدي، ولقد أخبرني سبولدنج بأن مليونيرًا أمريكيًّا يُدعى إزيكيا هوبكنز قد أسس الشركة، وكان شعره أحمر



اللون، لذا كان متعاطفًا مع الرجال ذوي الشعر الأحمر، ومن ثم ترك مالًا من أجل هؤلاء الرجال بعد وفاته، ولكن وفقًا لما يقوله سبولدنج، فإن هذا الإعلان متاح فقط للرجال ذوي الشعر الأحمر الذين يسكنون في لندن".

وتابع قائلًا: "ولأن ذلك المليونير الأمريكي قد بدأ مسيرته المهنية في لندن، فأراد أن يرد الجميل لهذه المدينة، ومع ذلك فلن يُقبل كل الرجال ذوي الشعر الأحمر، بل هؤلاء الذين يتميزون بشعر أحمر كثيف ولامع ومتوهج،

فقررت التقدم إلى هذه الوظيفة؛ لأن هذه المواصفات تنطبق عليَّ، فذهب سبولدنج معي، ورأينا أغرب منظر في حياتنا على الإطلاق؛ حيث ذهب إلى التقدم إلى هذه الوظيفة كل شخص في لندن يميل لون شعره إلى الاحمرار، وقد هممت بالتراجع عن التقدم إلى هذا الإعلان بعد ما رأيت تلك المنافسة الشرسة، ولكن سبولدنج لم يسمح لي بذلك قط، وقد صعدنا الدرج ببطء، حتى وصلنا إلى المكتب"، ثم توقف السيد ويلسون عن الكلام.

فقال له هولمز ليحثه على المواصلة: "يا لها من قصة ممتعة! من فضلك أخبرنا بالمزيد".



فاسترسل قائلًا: "لم يكن في المكتب سوى كرسيين من الخشب وطاولة صغيرة كان يجلس خلفها رجل ضئيل الحجم، شعره أكثر احمرارًا من شعري، وقد أجرى مقابلة شخصية مع كل المرشحين للوظيفة، ولكنه لم يقبل أحدًا منهم على الإطلاق؛ لأنه وجد بعض العيوب في كل واحد منهم، ولكنه تعامل معي بشكل أكثر لطفًا من الآخرين، وبعد أن قدمني سبولدنج إليه، تراجع هذا الرجل الصغير إلى الخلف، حتى يتفحص شعري، ثم تقدم إلى الأمام وصافحني مهنئًا إياي، ففرحت كثيرًا، حتى قرر ذلك الرجل فجأة أن يشد شعري بكلتا يديه وبأقصى قوة عنده".

وتابع قائلًا: "فصرخت من الألم وترقرقت بعينيّ بعض الدموع، ولكن ذلك الرجل الصغير قد بدا راضيًا عني، وقال لي إنه كان يريد أن يتأكد من لون شعري؛ لأن كثيرًا من الناس قد خدعوه قبل ذلك بوضعهم شعرًا مستعارًا أو صبغة حمراء، وقد عرَّف نفسه بأنه دونكان روس أحد أرباب المعاشات، كما أخبرني بشرط الوظيفة التي وقع الاختيار عليّ من أجلها".

واسترسل قائلًا: "وكان عليّ أن أحضر في المكتب لديهم كل يوم من الساعة العاشرة صباحًا حتى الثانية بعد الظهر، ويجب عليّ الالتزام بهذه المواعيد سواء أكنت مريضًا أم لديَّ أية التزامات أخرى، كان هذا الأمر غريبًا، ولكن لأن الأجر كان مجزيًا؛ حيث



سأتقاضى ٤ جنيهات في الأسبوع، وافقت على كل شروطهم، وكان أغلب عملي في المساء؛ لذا كان هذا العمل مناسبًا لي، وكان سبولدنج رجلًا يمكنني الوثوق به، فقررت أن بإمكانه أن يعتني بالمكتب الخاص بي صباحًا".

فسأله هولمز قائلًا: "ما طبيعة عملك هناك بالضبط؟".

فرد عليه: ‘‘كان عملي يحتم عليَّ أن أقوم بنسخ الموسوعة البريطانية، وكان عليَّ أن أحضر إلى العمل، ومعي الحبر والأقلام والأوراق النشافة، ولن يوفروا لي سوى المكتب الذي سأجلس عليه، وقد هنأني قبل أن أغادر، ولم أفعل أي شيء سوى أنني ابتسمت للحظ السعيد الذي حالفني. وفي اليوم التالي، عدت إلى المكتب وقد ساعدني السيد روس، حتى بدأت العمل، وبدأت أنسخ بداية من حرف ‘أ’ في الموسوعة، وبعدها تركني وانصرف، وكان يتفقدني من وقت إلى آخر؛ ليتأكد أنني أعمل، وأن كل شيء على ما يرام، وكان يودعني عند حلول الساعة الثانية، ويغلق الباب خلفي، وقد استمر على هذه الحال عدة أيام، وكان المدير قد أعطاني أربع عملات ذهبية في يوم السبت، وكان هذا أجر الأسبوع، وبعد عدة أيام توقف السيد روس عن المجيء، ولكنني لم أجرؤ على مغادرة الغرفة؛ لأنني لم أكن أريد أن أفقد ما أتقاضاه في هذه الوظيفة من مال سهل المنال، وقد قضيت في هذا العمل ثمانية أسابيع، ومن ثم انتهيت من نسخ حرف ‘أ’ في الموسوعة. أضاف قائلًا:



‘‘ولكنني قبل أن أبدأ العمل في نسخ الحرف ‘ب’ من الموسوعة، كان العمل برمته قد توقف’’.

فسأله هولمز قائلًا: ‘‘هل تم إغلاق المكتب الخاص بهم؟’’.

فرد عليه عميلنا وهو يريه لافتة من الورق المقوى قائلًا: ‘‘نعم، فقد ذهبت إلى العمل في صباح هذا اليوم، ولكن الباب كان موصدًا، وكانت هناك لافتة

من الورق المقوى موضوعة على الباب، مكتوب عليها: تم حل عصبة ذوي الشعر الأحمر في التاسع من شهر أكتوبر عام ١٨٩٠".

وقد انفجرت أنا وهولمز في الضحك على هذا الجزء المضحك من قصة ويلسون؛ ما أثار حفيظته، وحينها صاح قائلًا: "يمكنني الذهاب إلى أي شخص آخر إذا سخرتما مني".

فرد عليه هولمز على الفور قائلًا: "لا لا، إن قضيتك فريدة من نوعها، وأريد بالفعل حلها، ولكن عليك أن تعترف أيضًا بأنها مضحكة، أخبرنا إذن ما الذي فعلته بعدما رأيت تلك اللافتة؟".

فرد عليه قائلًا: "لقد كنت مندهشًا يا سيدي، ولم أكن أعرف ما الذي عليَّ فعله حينها، وقد سألت عنهم في المكاتب الأخرى التي توجد في المبنى نفسه، ولكن لم يجبني أحد، ومن ثم سألت مالك المبنى، فقال لي إنه لم يسمع بأمر عصبة ذوي الشعر الأحمر من قبل". واسترسل قائلًا: "كما أخبرني بأنه لم يسمع عن



دونكان روس أيضًا، كما قال لي إن الرجل ذا الشعر الأحمر كان يعمل محاميًا، ويُدعى وليام موريس، وكان يستأجر إحدى الغرف مؤقتًا حتى أصبح مكتبه جاهزًا، وأعطاني مالك المبنى عنوان مكتبه الجديد، وقد ذهبت إليه، لكنني اكتشفت أن هذا المكان عبارة عن مصنع لتصنيع الركب الصناعية، ولم يسمع أحد هناك أيضًا عن السيد روس، ولا السيد موريس؛ لذا عدت إلى المنزل وطلبت النصيحة من سبولدنج، وقد نصحني بالانتظار؛ لأنني من الممكن أن أتلقى أي شيء منهم عن طريق البريد، ولكنني لا أطيق

الانتظار، فجئت إليك؛ لأنني أعلم أنك تسدي النصح للفقراء، وتساعدهم يا سيد هولمز".

وعندها رد عليه هولمز قائلًا: "سأكون سعيدًا للغاية إذا استطعت حل قضيتك يا سيدي".

فرد عليه ويلسون قائلًا: "شكرًا لك! ولكنني قد خسرت أربعة جنيهات أجرتي طوال الأسبوع".

فرد عليه هولمز قائلًا: "ولكنك قد كسبت ثلاثين جنيهًا يا سيد ويلسون، كما اكتسبت بعض الخبرة".

فقال له ويلسون: "ولكنني أريد أن أعرف لماذا فعلوا هذا ومن هم؟ ولماذا قاموا بهذه المزحة؟ إنها مزحة باهظة الثمن؛ فقد أنفقوا عليها اثنين وثلاثين جنيهًا!".



فرد عليه هولمز قائلًا: ''أخبرني يا سيد ويلسون، منذ متى يعمل معك مساعدك هذا؟''.

فرد عليه ويلسون: ''قرابة الشهر''.

فسأله هولمز: ''وكيف وصل إليك؟''.

فرد عليه ويلسون: ''لقد جاء إليَّ ردًّا على إعلان نشرته أطلب فيه شغل الوظيفة''.

فسأله هولمز: "أكان هو الشخص الوحيد الذي جاء إليك؟".

فرد عليه ويلسون: "لا, لم يكن الشخص الوحيد، فقد كان هناك اثنا عشر شخصًا آخر تقدموا إلى الوظيفة".

فسأله هولمز: "ولماذا اخترت هذا الشخص عينه؟".

فأجابه ويلسون: "لأنه قد قبل العمل بنصف الأجر".

فقال له هولمز: "صف لي فينسنت سبولدنج".

فرد عليه ويلسون قائلًا: "هو ضئيل الحجم، وممتلئ القوام، وحليق الوجه، كما كان سريعًا في تحركاته، وتوجد على جبهته بقعة بيضاء من أثر حرق قديم".

فسأله هولمز متحمسًا: "هل كانت أذناه مثقوبتين؟".

فرد عليه ويلسون قائلًا: "نعم، لقد قال إن غجريًا قد ثقب أذنه عندما كان صغيرًا".



فسأله هولمز: "حسنًا، هل ما زال يعمل لديك؟".

فقال ويلسون: "نعم، ولم أشتكِ منه قط".

قال لي هولمز بعدما غادر الزائر: "أحيانًا لا يمكن تمييز الوجه المألوف، ولكن هذه القضية تبدو قضية عادية". واستطرد هولمز قائلًا: "ولكن يوجد في تلك القضية على ما يبدو بعض الأمور العميقة والخطيرة، ويتطلب ذلك مني تفكيرًا عميقًا، فلا تقاطعني خمسين دقيقة"، ولكن بعد وقت قليل

اندفع هولمز يطلب مني أن نخرج لنتمشى معًا، وقد وصلنا إلى مكان صغير وقذر بعد حين من الوقت، وقد رأينا منزل عميلنا ذي الشعر الأحمر، وكان اسمه محفورًا على الباب، فطرق هولمز الباب طرقًا مدويًّا، ففتح الباب شاب يافع حليق نظيف الهيئة.

فسأله هولمز قائلًا: "أود أن أسألك كيف يمكننا الوصول إلى شارع ستراند من هنا؟".

فرد عليه الشاب قائلًا: "فلتدخل من الشارع الثالث من يمينك، ثم إلى الرابع من يسارك"، ثم أغلق الباب على الفور.

فعلق هولمز قائلًا: "يا له من شاب ذكي! لقد عاينت من فوري ركبتي بنطاله، وسأخبرك بالسبب في وقت لاحق، ولكن دعنا الآن نستكشف المنطقة أولًا".



كان الطريق الذي يقع خلف شارع ساكسكوبورج مختلفًا تمامًا؛ فقد كان متصلًا بالطريق الرئيسي الذي يربط شمال المدينة بغربها، وكانت المدينة مزدحمة بالناس والسيارات والمحلات، وقد ودَّعني هولمز بعد حين من الوقت، وطلب مني الحضور في تمام الساعة العاشرة بالضبط مساء اليوم، وعندما وصلت إلى المكان الذي سنجتمع فيه في تمام الساعة التاسعة

والربع، وجدت عربتين تنتظران عند الباب، وعندما دخلت، وجدت هولمز يتحدث مع رجلين.

كان أحد هذين الرجلين هو بيتر جونز ضابط الشرطة، ولكنني لم أعرف اسم الرجل الآخر الذي كان نحيفًا، وتبدو عليه علامات الحزن، ولكنه كان متأنقًا، وقد قدمه هولمز باعتباره السيد ميري ويزر، وكلاهما سيكون رفيقنا في هذه الليلة المليئة بالمغامرات.

قال هولمز عندما انطلقنا معًا: "يمكنك اصطياد فريستك الليلة يا سيد جونز، إن جون كلاي لص ومزور ومجرم، كما أنه شاب حاد الذكاء يا سيد ميري ويزر، وهو بالإضافة إلى ذلك رجل خطير، وكان جده دوقًا ملكيًا، ولقد سعينا إلى القبض عليه منذ عدة سنوات".

وبعدما وصلنا إلى وجهتنا، قادنا السيد ميري ويزر إلى الأسفل عبر ممر ضيق، ثم دخلنا من باب جانبي، كان هناك في الداخل رواق صغير في نهايته بوابة حديدية كبيرة، فدخلنا منها، ثم عبرنا إلى سلم صخري ملتوٍ، حتى وصلنا إلى بوابة أخرى كبيرة، وعندها



أشعل السيد ميري ويزر مصباحًا، لكي ينير لنا ونحن نسير في ممر مظلم تفوح منه رائحة الطين، حتى وصلنا إلى حجرة كبيرة مليئة بالصناديق والطرود.

وقال هولمز وهو يرفع مصباحه عاليًا: "لا يمكن اختراق هذا المكان من الأعلى بسهولة".

فرد عليه السيد ميري ويزر وهو يدق بعصاه على الأرض قائلًا: "ومن الأسفل أيضًا"، وأضاف متعجبًا: "يا إلهي! إنه يصدر صوتًا أجوف من الداخل!"، وقد أمره هولمز بالتزام الصمت، وأخذ يفحص الأرض بعناية، ثم قال: "لدينا ساعة على الأقل؛ فهم لن يتحركوا حتى ينام السمسار، وكما تظن يا واطسون فنحن هنا في قبو أحد أكبر بنوك لندن، وبما أن السيد ميري ويزر هو رئيس مجلس إدارة ذلك البنك، فسوف يخبرنا بالسبب الذي نوجد هنا من أجله".

فهمس السيد ميري ويزر قائلًا: "نحن هنا من أجل الذهب الفرنسي الخاص بنا؛ فقد اقترضنا ٣٠.٠٠٠ قطعة ذهبية من بنك فرنسا".

أمره هولمز بأن يُطفئ المصباح، حتى لا نعرض أنفسنا للخطر، ثم اختبأنا جميعًا خلف الصناديق، وقال هولمز حينها: "عندما



أصيح قوموا بحصارهم على الفور. هل رجالك في أماكنهم في الخارج يا جونز كما أمرت؟".

فرد عليه قائلًا: "نعم يا سيد هولمز، هناك مفتش وضابطان متمركزان عند الباب الأمامي".

وعندئذٍ قال لي هولمز: "أطلق عليهم النار يا واطسون إذا قاموا بإطلاق النار عليك"، فحملت مسدسي وانتظرنا، وطال انتظارنا قرابة الساعة

والربع، ولكنني أعتقد أننا انتظرنا أطول من ذلك كثيرًا، فقد آلمتني قدماي، ولكنني لم أخاطر بتغيير مكاني. وفجأة ظهر شعاع من النور انبثق من بقعة صغيرة ولكنه لم يلبث أن صار خطًّا أصفر طويلًا، وقد سمعت صوتًا من تحت الأحجار، ورأيت يدًا صغيرة بيضاء تمتد إلى الداخل، وقد تغلغلت تلك اليد في الداخل دقيقة أو دقيقتين، ومن ثم اختفت، وبعد ذلك سقط حجر أبيض مصدرًا صوتًا مدويًا ليكشف عن فتحة مجوفة ومربعة، ودخل بعدها بدقيقة رجل له وجه صبياني إلى الغرفة يتبعه رجل آخر صغير ذو شعر أحمر متوهج الاحمرار، وصاح قائلًا: "لا يوجد أحد هنا!".

وعندها انقض هولمز على الرجل وأمسك به من ياقته، وأمسك السيد جونز بساق الرجل الآخر الذي كان يحاول الهرب إلى أسفل الحفرة، ومن ثم سمعت صوت قرقعة المسدس، ولكن هولمز



أطاح به من يد السارق بكل سهولة، وقال له: "ليس هناك داعٍ للمقاومة يا جون كلاي، وليست لديك أية فرصة للهرب على الإطلاق".

فرد عليه الرجل بكل هدوء: "أعلم هذا، ولكن صديقي حر الآن، فأنتم لم تقبضوا عليه".

فرد عليه هولمز قائلًا: "إذا كان قد هرب منا، فهناك ثلاثة رجال بانتظاره عند الباب!".

فرد عليه الرجل قائلًا: ‘‘إذن فعليَّ أن أهنئك’’.

فقال له هولمز: ‘‘لا بد من أن أهنئك أنا كذلك؛ لأن فكرتك بشأن عصبة ذوي الشعر الأحمر كانت ذكية’’.

وعندها قال كلاي، بينما كان جونز يقوم بإحكام الأصفاد على يديه: ‘‘أبعد يديك القذرتين عني، ولا تخاطبني إلا بكلمة سيدي؛ فأنا من عائلة ملكية’’.

فرد عليه جونز ساخرًا: ‘‘نعم يا سيدي. هل تسمح فخامتك بالصعود معنا حتى نصطحبك إلى مركز الشرطة؟’’.

وعندئذٍ قال السيد ميري ويزر بامتنان: ‘‘لا أعرف كيف أشكرك يا سيد هولمز، فلقد أنقذتنا من سرقة كبيرة’’.

فرد عليه هولمز قائلًا: ‘‘هناك أمور بيني وبين جون كلاي كان عليَّ أن أسويها، وأتمنى أن يقوم البنك بدفع التكاليف التي أنفقتها على هذه القضية التي سعدت بحلها’’.



وقد وضَّح هولمز حقيقة الأمر قائلًا: ''أرأيت يا واطسون، لقد كان الغرض من وراء هذا الإعلان الذي نشرته عصبة ذوي الشعر الأحمر المزعومة، ونسخ الموسوعة هو إبعاد السمسار عن مكتبه ساعتين كل يوم، لقد جاء كلاي بفكرة فريدة، واستوحاها من لون شعر صديقه الأحمر، وكانت الجنيهات الأربعة التي سيتقاضاها أسبوعيًّا هي الطعم، لقد كنت أشك في أمر ذلك المساعد منذ أن قبل العمل مقابل نصف الأجر''.

فسألته قائلًا: ''ولكن كيف عرفت بشأن دافعهم يا هولمز؟''.

فأجابني هولمز: "لم يكن هناك شيء يستحق السرقة داخل منزل السمسار؛ لذا لا بد من أن يكون الشيء الذي يودون سرقته بعيدًا عن المنزل، كما فكرت في أن المساعد كان يذهب إلى القبو كثيرًا حتى يحمض الصور الفوتوغرافية، ثم تأكدت من أنه كان يحفر حفرة ما؛ فقد كان يمكث في القبو ساعات عديدة دون فاصل؛ لذا قررت أن أزوره، فلاحظت أن ركبتي بنطاله متسختان، وكان ذلك دليلًا على ساعات الحفر الطويلة، وكان هناك سؤال وحيد متبقٍ، وهو: ما المكان الذي يريد الوصول إليه بأعمال الحفر هذه؟ وبعدها أدركت أن بنك المدينة هو المكان الملاصق لذلك



المبنى، فقمت بالاتصال بسكوتلانديارد وبرئيس البنك في الحال، والباقي أنت تعرفه بالطبع!".

فسألته قائلًا: "ولكن كيف علمت بأن السرقة ستحدث اليوم؟".

فأجابني: "لقد أغلقت العصبة مكتبها, ما يعني أنها قد انتهت من حفر النفق، ولم ترد أن يغادر السيد ويلسون منزله، ولكن كان عليها أن تستخدم ذلك النفق بسرعة خوفًا من أن يكتشفه أحد، وكان يوم السبت هو اليوم

الأفضل؛ لأنه سيوفر لها يومين للهرب بما نهبته، لذا بات واضحًا لي أنها ستحاول سرقة البنك في تلك الليلة!".

فصحت بإعجاب قائلًا: "لقد جعلت الأمور تبدو سهلة للغاية يا هولمز، كما أن كل تحليلاتك تبدو منطقية".

فرد عليّ هولمز وهو يتثاءب قائلًا: "دائمًا ما أحب يا واطسون أن أخوض المغامرات الصغيرة؛ فهي تضفي جوًّا من الإثارة والبهجة على حياتي، فدونها تصبح الحياة مملة وكئيبة".

نبذة عن المؤلف

سير آرثر إجناتيوس كونان دويل

سير آرثر إجناتيوس كونان دويل (٢٢ مايو ١٨٥٩-٧ يوليو ١٩٣٠) كاتب وطبيب اسكتلندي اشتهر بابتكاره الشخصية الروائية للمحقق الرائع شيرلوك هولمز. وتُعَدُّ قصصه التي يلعب فيها شيرلوك هولمز دور البطولة من العلامات البارزة في مجال أدب الجريمة.

ولد آرثر كونان دويل في ٢٢ مايو من عام ١٨٥٩ في مدينة إدنبرة باسكتلندا. وبين عامي ١٨٨٧ و١٩٢٧، ألَّف دويل أربع روايات، وخمسًا وستين قصة قصيرة كان بطلها شيرلوك هولمز؛ المحقق الخاص العبقري المقيم في لندن. يتميز شيرلوك هولمز بقوة ملاحظته، وتفكيره الاستدلالي البارع، ومهاراته البوليسية في التحري؛ بما يجعله قادرًا على حل أصعب الجرائم. وكانت أول قصة ظهر فيها شيرلوك هولمز ودكتور واطسون بعنوان ”دراسة باللون القرمزي“.

أدخل كونان دويل إلى عالم الأدب شخصية ”المحقق العلمي“، ويعتبر هولمز من أكثر شخصيات الأدب الإنجليزي شهرةً. وهولمز ليس محققًا بارعًا فقط، ولكنه كذلك ممثل للقيم الفيكتورية والإمبراطورية.

الشخصيات

شيرلوك هولمز: المحقق الخاص الذي يلعب دور البطولة في القصص. ويبدو أن دافعه لقبول أية قضية هو مقدار ما تتسم به من إثارة، ويتنوع عملاؤه من الأشخاص العاديين إلى أعضاء الأسرة الملكية، بل كذلك سكوتلانديارد. ولما كان يتسم بالحياد العاطفي والانفعالي، فإنه يتعامل في كل علاقاته الاجتماعية على أساس التفكير المنطقي والاستدلال واللذين وصل في ممارستهما إلى مستويات لا يمكن تخيلها. ويتيح له ذلك أن يحل أغرب القضايا.

دكتور واطسون: أكثر أصدقاء شيرلوك هولمز إخلاصًا له، نصب نفسه راويًا لمغامراتهما معًا في حل ألغاز الجرائم في جميع أنحاء بريطانيا. وهو محارب سابق صار صديقًا لـ هولمز، عندما تقاسما معًا شقة في ٢٢١ ب، شارع بيكر. ويبقى أن نقول إن واطسون يدرك تمامًا ما يكنه له هولمز من تقدير عميق.

الأسئلة

- ما الذي كان مكتوبًا على القبعة القديمة؟ وما الأوصاف التي حددها شيرلوك عن مالك القبعة؟
- ما الذي كان في بطن الإوزة؟ وما القصة الحقيقية وراء الجوهرة الزرقاء؟
- كيف استنتج شيرلوك أن هنري بيكر لم يكن لصًّا؟
- من كان جيمس رايدر؟ وكيف شرح حقيقة ما حدث؟

٢

- من الذي زار الدكتور واطسون؟ وماذا حدث لإبهامه؟
- لماذا بدا عرض ليساندر ستارك غريبًا؟ ولماذا قبل المهندس العرض الذي قدمه له الكولونيل مع أنه كان عرضًا غريبًا؟
- كيف فقد المهندس إبهامه؟
- ما الذي حدث للبيت الذي يوجد به المكبس الهيدروليكي؟ وما العائد الذي عاد على المهندس؟

٣

- كيف عرف شيرلوك أن المرأة أتته في قطار الصباح؟
- ماذا كانت قصة الآنسة ستونر؟
- كيف فقدت الآنسة ستونر أختها؟
- ما الذي اكتشفه شيرلوك عندما فحص غرفة الآنسة ستونر؟

٤

• ما لغز وادي بوسكومب الغامض؟

• ما الذي "قالته" الآنسة تيرنر للرجلين؟

• لماذا صاح السيد مكارثي بكلمة "رات" قبل أن يموت؟

٥

• ما الذي دفع هولمز إلى قول إن الحقيقة أغرب من الخيال؟

• ما الذي قالته السيدة سذرلاند لهولمز عن السيد إينجل؟

• من السيد إينجل؟ وكيف عرف هولمز بأمره؟

٦

• لماذا ذهب الدكتور واطسون إلى وكر الأفيون البغيض؟

• كيف التقى الدكتور واطسون بهولمز؟ ولمَ كان هناك؟

• من الذي كان يختبئ في السجن؟ ولماذا؟

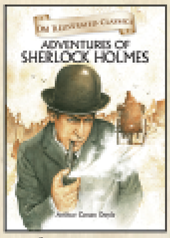
٧

• ما عصبة ذوي الشعر الأحمر؟

• من الذي كان يعمل لدى السيد ويلسون؟ وما الغريب في أمره؟

• ماذا كان غرض عصبة ذوي الشعر الأحمر الحقيقي؟ وهل نجحت في تحقيقه؟

الغلاف الخلفي



مغامرات
شيرلوك هولمز
آرثر كونان دويل

في مجموعة القصص القصيرة هذه، نطالع شيرلوك هولمز وصديقه الدكتور واطسون يتجولان في أرجاء مدينة لندن لحل القضايا الأكثر غرابة. ونرى هولمز يستعمل قوة الملاحظة الشديدة وذكاءه الحاد إلى جانب موهبته الرائعة في تفقد القضايا، وإيجاد الحل المنطقي لها؛ ما يدهش الدكتور واطسون ويثير إعجابه، حيث نجدهما في قصة عصبة *ذوي الشعر الأحمر*، يتوصلان إلى الغرض الرئيسي الذي يدعو إلى الشك وراء تكوين عصبة ذوي الشعر الأحمر. كما يساعدان –في قصة *الشريط المرقط*– امرأة شابة على اكتشاف الطريقة التي قُتلت بها أختها التوأم، واللغز المستتر وراء كلماتها الغريبة التي قالتها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، وهروبها من حياة مليئة بالرعب. وفي قصة *لغز وادي بوسكومب*، يقوم هولمز بإنقاذ شاب اتُهم ظلمًا، بينما يساعد في قصة *الجوهرة الزرقاء* متهمًا على إثبات براءته.

استمتع بقراءة هذه المجموعة القصصية التي تتضمن سلسلة من الحكايات المثيرة، تنم عن عبقرية حقيقية خالصة، كما أنها تظهر العبقرية المتفردة لـ شيرلوك هولمز في الملاحظة القوية والاستدلال المنطقي.

يحتوي هذا الكتاب على القصص التالية:

1. الجوهرة الزرقاء
2. إبهام المهندس
3. الشريط المرقط
4. لغز وادي بوسكومب
5. قضية هوية
6. الرجل ذو الشفة الملتوية
7. عصبة ذوي الشعر الأحمر



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

لشراء النسخة الإلكترونية
القارئ جرير JARIR READER

ISBN 628-1072-10-091-9

الفهرس

1. الغلاف
2. 1
3. الغلاف الأمامي
4. حقوق الطبع والنشر
5. ١. الجوهرة الزرقاء
6. ٢. إبهام المهندس
7. ٣. الشريط المرقط
8. ٤. لغز وادي بوسكومب
9. ٥. قضية هوية
10. ٦. الرجل ذو الشفة الملتوية
11. ٧. عصبة ذوي الشعر الأحمر
12. نبذة عن المؤلف
13. الشخصيات
14. الأسئلة
15. الغلاف الخلفي